16 em Année No. 802

Lundi — 15 — 11 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٠٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ محرم سنة ١٣٦٨ — ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أسرة طيبـــة

— ٢ —

أقلعت الحمى المزعومة عن جسد عائدة الرشيق الغض ، فشعرت شعور الفتاة الصحيحة بأن رجلاً أجنبياً فى غرفتها فنهضت بحكم الغريزة تتعهد مواضع احتشامها ، وتجمع بيدها ما تشعّث من هندامها . ثم نظرتْ إليَّ بطَرفها الساجى نظر المطمئن الشاكر .

فقلت لها : كيف تجدينك الآن يا آنسة ؟

فأجابت فى ابتسامة خجِلة وصوتٍ خَريد :

— أجدنى والحمد لله كأن لم يكن بىَ شىء . وإنّا لنعتذر إليك يا سيدى من إزعاجك فى مثل هذه الساعة . والحق أنى لا أعرف كيف جرى ذلك ! شكوت أول الليـل فَترةً فى جسدى لعلها مسّةٌ من البرد ؛ فلما قاس أخى حرارة جسمى وقال إنها ثلاث وأربعون درجة اعتقدت أنى مشفيةٌ على الموت ، لأن فهمى لا يمزح فى مثل هذه الحال ، والميزان لم يغشنا قبل هذه المرة ؛ وحينئذ شعرت بدمى يفور ، وبنفَسى يتتابع ، وبنبضى يسرع ، وبروحى تذوب ، وبجسمى ينحل ؛ ثم نزلت بى غشْية الموت فرأيت ثُلة من القديسين وفى أيديهم الأناجيل يرتلون من حول آيات الغفران وأدعية الرحمة . فلما أوشك السراج أن ينطفئ سمعت قديساً من بينهم يقول ضاحكاً : إن حالتها تكاد أن تكون طبيعية ، وإن حرارتها سبع وثلاثون درجة ونصف ! ففتحت عينىّ فإذا بك واقف على سريرى وفى يدك الميزان ؛ ثم فهمت من الحديث الذى جرى أن حرارة المصباح الشديدة هى التى رفعت الدرجة حين أدناه أخى من لهيبه وقلَّبه طويلاً على حره . حينئذ فتر الدم الغالى وأبطأ النبض السريع وتماسك الروح القلق وخف الجسم الثقيل ، فنهضت أشكر عائدى الكريم وأعتذر إليه ، وجلست أطمئن بيتى المرتاع وأسرّى عنه .

فقلت : نحمد الله على أن جعل مرضك وهماً لا حقيقة ، ونسأله ألا يصيبك المرض إلا بهـذه الطريقة . ثم هممت بالانصراف ، فأقسم المعلم فهمى ألا أخرج حتى أشرب قدحاً من شاى شحاتة ، أو كأساً من عرق (عزّور) .

فقلت له وأنا أمكّن لنفسى فى الكرسى المخلّع :

— لا بأس أن أبر يمينك بأخف الضررين . هات الشاى نشربه على صحة الآنسة .

فذهب شحاتة يطبخ شايه وسرعان ما رجع خزيان يعتذر بأن زجاجة المصباح الأصفر قد تحطمت فى الفزعة التى سبّبها المصباح الأكبر .

فقلت لهم : وماذا يضطركم إلى الاستضاءة بالنفط والمهارة كلها تستضيء بالكهرباء ؟

فأجاب المعلم فى لهجة الأستاذ وهيئة العبقرى :

— خلاف بينى وبين شركة النور على التأمين الذى تأخذه مقدماً من المشترك ، هى تريد أن (أدفعه) ، وأنا أريد أن أمنعه . ومعاذ الله أن أكون مغفلاً كجميع مشتركيها فأنزل لها عن بعض مالى بغير حق . إن التأمين مال ميت ، لأنك لا تستفيد منه ما دام النور ، والنور لا تستغنى عنه ما دامت الحياة . وقد تحدثت فى ذلك إلى رئيس الوزراء فاقتنع ووعد بأن يطلب من الشركة إما أن تأخذ التأمين بأجر ، وإما أن تكتفى منه بالتأمين على استهلاك شهر .

ومنذ تلك الليلة تفتحت بيننا الأبواب وتكشفت دوننا الحجب ، فأصبحنا نتذاكر فصول النحو فى مكتب فهمى ، وأمسينا نتناقل شهى الحديث فى مجلس عائدة . واتفقت لى مع الآنسة الطيبة خلوات أنست فيها النفس بالنفس ، واطمأن عليها الضمير إلى الضمير ، فعلمت من دفائن صدرها أنها أحبت ، وأن حبيبها كان من أهل الرؤاء الباهر والثراء القليل ، كان يعمل فى تقطير (العرق) وجلب (اللوحة) ، ويطمع منها فى صداق ضخم يوسع به معمله ، ويبنى عليه مستقبله ؛ وكانت هى ترجو أن تدبر له هذا الصداق من تجارة أبيها الرابحة فى القطن والزيت . ومضى على هذا الحب المنيف العفيف ثلاثة أعوام كانت فى خلالها تلقى فتاها فى إيابها من المدرسة ، أو فى ذهابها إلى الكنيسة ، فينضحان هواهما المكظوم المحروم بما تيسر من أناشيد الغزل وأحاديث المنى ، ويتشاوران فى مستقبل هذا الحب الجائش النامى : متى يعرف الأبوان ، ومتى تُعلن الخطبة ، ومتى ينعقد (الجبنيوت) ، ومتى يكون الزفاف ؟ وانتهى التشاور بينهما ذات يوم إلى أن يتقدم الخاطب فى الأحد القريب إلى أبويها فيطلب يدها ويعلن خطبتها . ومضت هى تهيئ سمع أمها إلى هذا الخبر ؛ وكانت الأم قد عرفت عن طريق غريزتها وأمومتها سر هذا الحب فلم تدهش حين صارحتها ابنتها به . ووعدتها أن تُظفرها فى وقت واحد برضا الأب وضخامة الصداق . ولكن أمها مرضت فى ذلك الأسبوع مرض الموت فتأجلت الخطبة . ولحق بها أبوها بعد عام فتجدد التأجيل . ولم يعلّ الخاطب الحبيب هذا الانتظار ، لأن حظ عائدة من الجمال يتسع له الصبر ، ونصيبها من تركة أبيها يستحيل منه العوض . ولكن تركة المرحوم تكشفت بفضل المضاربة فى البرصة عن دين فادح كان يستره بجمال الظاهر وحسن السياسة ، فلم يجد بنوه شيئاً فى البنوك ولا فى الدفاتر . فخرج فهمى من المتجر وتبطّل ، وانقطع شحاتة عن المدرسة واشتغل ، واعتكفت عائدة فى بيتها عن الناس فلم تزر أحداً ولم تقبل أن يزورها أحد . ثم قصرت جهدها على أخويها وحبها على المسيح ؛ فهى تعمل طول الأسبوع فى البيت ولا تخرج إلا يوم الأحد إلى الكنيسة . ثم استعاضت عن عشرة الناس بعشرة الحيوان ، فهى تربى الأرانب فى المطبخ ، وترعى الدجاج فى الصالة ، وتقتنى كلبها فى الغرفة ، وتصطحب هرة فى السرير . ولكنها منذ عرفتها وتألفتها نظفت البيت ونظمت الأثاث وجملت المنظر واكتفت من خلطائها العجم بالكلب والهرة .

ثم تعاقبت السنون وتبدلت الأحوال فانتقلنا من حى إلى حى ، وتحولنا من ناس إلى ناس ، فانقطع علم ما بينى وبين هذه الأسرة الطيبة ، فلم أعد أرى فهمى البطين ، ولا شحاتة الأعجف ، ولا عائدة الرشيقة .

وفى يوم من عطلة عيد الأضحى الماضى كنت واقفاً أجيل النظر فى المعرض الزجاجى لمكتبة من مكاتب الفجالة ، فرأيت بجانبى رجلاً أشمط الرأس معروق العظام يحمل قرطاساً من البايح الأمهات ويديم النظر إلىّ وفى عينه استفهام وعلى شفته كلام . فلما حدقت ببصرى إليه عرفت فيه شحاتة أفندى ، فسلمت عليه بشوق ، وسألته عن أخويه بلهفة . فقال لى والأسى يقطر من وجهه ويظهر فى كلامه : قضى فهمى بالشلل ، وقضت عائدة بالسل ، وقضى الله أن أعيش بعدهما لأبكى عليهما وحدى ، ثم لا أجد من يبكى عليهما ولا علىّ بعدى !

فشجعته ثم ودعته وانصرفت وفى نفسى أن أحيى ذكرى هذه الأسرة الطيبة بهذه الكلمة فى « الرسالة » .

احمد حسن الزيات

من معاهد العلم في عصر الحروب الصليبية:

المدرسة الصلاحية

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

كان التعليم في مصر قبل مقدم صلاح الدين إليها، في الجوامع والمساجد، وأول ما عرفت مصر إقامة درس من قبل الخليفة بمرتب ثابت كان في عهد خلافة العزيز بالله الفاطمي، فقد سأله وزيره يعقوب بن كلس صلة رزق جماعة من الفقهاء، يقومون بالتدريس في الجامع الأزهر، فأطلق الخليفة لهم ما يكفي كل واحد منهم من الرزق، وأمر لهم بشراء دار وبنائها، فبنيت بجانب الأزهر، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع، وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلى العصر، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلاً، وكان لهم أيضاً من مال الوزير صلة في كل سنة، كما كانوا موضع عطف الخليفة وحبه.

ثم أنشأ الحاكم بأمر الله دار الحكمة وجعلها أشبه بجامعة تلقى فيها الثقافة العالية من فقه ونحو وحديث وأدب ولغة وهيئة وطب ورياضة ومنطق وفلسفة، وأجرى على أساتذتها الأرزاق الواسعة وجهزت بمكتبة ضخمة.

وكان الهدف من التعليم في الجامع الأزهر ودار الحكمة بث مبادىء الشيعة ونشر مذهبهم. ولم تذع المدارس في مصر في عهد الفاطميين، بل لم ينشأ فيها سوى هذه المدرسة التي أنشأها ابن السلار وزير الظافر العبيدي وكان من غلاة السنيين، فبنى بالاسكندرية سنة ٥٤٦ مدرسة للشافعية أسند أمرها إلى العالم الشهير أبي طاهر السلفي. وقبل هذه المدرسة أنشأ أحد وزراء الحافظ مدرسة لتعليم الشريعة بالاسكندرية أيضاً.

فلما جاء صلاح الدين عمل على تأسيس المدارس المختلفة، ليشيع في البلاد مذهب أهل السنة وبيسيدها إلى طريق الجماعة؛ فأنشأ بجوار الجامع العتيق مدرستين: إحداهما للشافعية والأخرى المالكية، وحول قصر الوزير المأمون البطائحي مدرسة للحنفية اتخذت اسم المدرسة السيوفية؛ لأن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها، وبنى مدرسة بمجاورة المشهد الحسيني، وأخرى بالاسكندرية ومدارس بالقدس ودمشق.

ويظهر أن أعظم ما شيده هو المدرسة الصلاحية التي أقامها بجوار قبر الإمام الشافعي؛ ولعل صلاح الدين، وكان شافعياً، أراد بإنشائه هذه المدرسة أن يحيي بها ذكرى الشافعي من ناحية، وأن يكون انبعاث مذهبه قريباً منه حيث يرقد؛ فوكل أمر إنشائها إلى نجم الدين الخبوشاني، فنهض ببناء مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها؛ لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء؛ وكان يخيل لمن يطوف بها أنها بلد مستقل بذاته، بإزائها الحمام وغيره من مرافقها، فكانت أشبه بمدينة جامعية؛ ولم يضن عليها صلاح الدين بمال، بل كان يقول لنجم الدين: زد احتفالا وتأنقاً، وعلينا القيام بمئونة ذلك كله. ووقف عليها حماماً بجوارها، وفرنا تجاهها، وحوانيت بظاهرها، والجزيرة التي كانت تسمى جزيرة الفيل بالنيل خارج القاهرة. ولعلها بعد أن تم بناؤها سنة ٥٧٢ أصبحت أعظم مدرسة في العالم الإسلامي كله، فكانت لذلك تدعى: تاج المدارس.

وجعل صلاح الدين أمر التدريس، والنظر فيها لنجم الدين الذي تولى أمر بنائها، ورتب له في الشهر أربعين ديناراً عن التدريس، وعشرة دنانير عن النظر في أوقاف المدرسة، وجعل له من الخبز في كل يوم ستين رطلا، وراويتين من ماء النيل. ولما مات وليها شيخ الشيوخ محمد بن حمويه الجويني في حياة صلاح الدين. فلما مات السلطان ولي النظر في وقفها بنو السلطان واحداً بعد واحد، ثم خلصت بعد ذلك، وعاد إليها الفقهاء والمدرسون.

ويدلنا على ما لهذه المدرسة من القدر أن جماعة من أعيان العلماء قد تولوا التدريس فيها، نذكر من بينهم شيخها الأول نجم الدين الخبوشاني، وهو فقيه شافعي ولد بناحية نيسابور سنة ٥١٠، وتفقه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالي، وكانت له معرفة بنجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين، وعند ما قدم إلى مصر نصب نفسه لذم الفاطميين وثلبهم، وجعل تسبيحه سبهم؛ ويقال إن الفاطميين حاولوا استمالته فلم يقبل. ولما عزم صلاح الدين على قبض العاضد وأشياعه واستفتى الفقهاء أفتوه بجواز ذلك، وكان أكثرهم في الفتيا نجم الدين الخبوشاني، كما كان أول من

خطب لبني العباس .

وانجم الدين كتاب تحقيق المحيط في شرح الوسيط الذي ألفه الغزالي في فقه الشافعية ، وكتب الشرح في ستة عشر مجلداً

وقد اختلف المؤرخون فيه ؛ فالسبكي يراه إماماً جليلا ورعا آمراً بالمعروف . وشاهده ابن جبير وأثنى عليه . وابن خلكان يقول : رأيت جماعة من أصحابه وكانوا يصفون فضله ودينه ، وأنه كان سليم الباطن قليل المعرفة بأحوال الدنيا . وابن أبي أصيبعة يراه ثقيل الروح متقشفاً في العيش يابساً في الدين يأكل الدنيا بالناموس .

والذي يظهر من أعماله أنه كان شديد المغالاة فيما يعتقد ، وكان بينه وبين الحنابلة فتنة قائمة يكفرونه ويكفرهم ؛ ومن مغالاته أنه نبش قبر ابن الكيزاني ، وأخرج عظامه من رمسه الذي كان بجانب قبر الشافعي قائلا لا يتفق مجاورة زنديق لصديق . ولكن كرهه للفاطميين وشدة إخلاصه للأيوبيين هي التي جملت صلاح الدين يثق به ويكرمه ويقربه ؛ ورغم أنه لما مات وجدت له ألوف الدنانير ، فلما سمع ذلك صلاح الدين قال : ياخيبة المسعى ! وتوفي نجم الدين سنة ٥٨٧ .

وفي عهد صلاح الدين أيضاً درس فيها محمد بن هبة الله البرمكي الحموي ، وهو فقيه فرضي نحوي متكلم أشعري العقيدة مرجع أهل مصر في فتاويهم ، وله نظم تعليمي كثير : ألف أرجوزة في العقائد لصلاح الدين وأخرى في الفرائض أهداها إلى القاضي الفاضل .

ودرس بها كذلك سيف الدين الآمدي أذكى أهل زمانه وأكثرهم معرفة بالعلوم الحكمية والمذاهب الشرعية والمبادىء المنطقية .

وأفضل الدين الخونجي ممن قام بالتدريس فيها ، وهو فقيه شافعي يقول عنه ابن أبي أصيبعة : « سيد العلماء والحكماء أوحد أهل زمانه وعلامة أوانه ، قد تميز في العلوم الحكمية ؛ وأتقن العلوم الشرعية » ؛ وجعله الصالح أيوب قاضي قضاة مصر ؛ ولتميزه في المعقولات كانت أكثر آثاره فيها ؛ فله مقالة في الحدود والرسوم ، وكتاب الجمل في علم المنطق ، وكتاب كشف الأسرار في علم المنطق أيضاً ، وكتاب الموجز فيه كذلك . وكان الخونجي عالماً بالطب أيضاً وله فيه : شرح ما قاله ابن سينا في النبض ، وكتاب أدوار الحميات . ولما مات سنة ٦٤٦ رثاه عز الدين الإربلي بقوله :

قضى أفضل الدنيا فلم يبق فاضل	ومات بموت الخونجي الفضائل
فيأيها الحبر الذي جاء آخراً	فحل لنا ما لم تحل الأوائل
ومستنبط العلم الخفي بفكرة	بها اتضحت للسائلين المسائل
فليت المنايا عنه طاشت سهامها	وكانت أصيبت عن سواه المقاتل
فإن غيبوه في الثرى عن عيوننا	فما علمه خاف ولا الذكر خامل

ومنهم قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز الذي ولي المناصب الجليلة ، واجتمع له منها ما لم يجتمع لغيره ، فأسند إليه نظر الدواوين والوزارة وقضاء القضاة وتدريس قبة الشافعي ، والصلاحية والصالحية ، والخطابة . وكانت له منزلة كبرى عند الظاهر بيبرس ومات في رجب سنة ٦٦٥ .

ودرس بالصلاحية ، وتولى قضاء القضاة أيضاً ابنه عمر ، فسار على طريقة أبيه ، بل أربى عليها شدة هيبة . وسلك في ولايته طريق الخير والصلاح ، وتحري الحق والعدل ، وتصلب في الأحكام . قال السبكي : « ولا يوجد أهل بيت بالديار المصرية أنجب من هذا البيت ، كانوا أهل علم ورياسة وسؤدد وجلالة » ؛ ثم عزل نفسه واقتصر على تدريس الصلاحية وتوفي سنة ٦٨٠ .

ولما مات ولي أخوه عبد الرحمن المدرسة الصالحية والتربة الصالحية عوضاً عن أخيه مضافاً لما بيده من نظر الخزائن . وفي أيام قلاوون عرضت على عبد الرحمن الوزارة فأبى ثم قبلها بعد إلحاح ، فلما ثقلت عليه تركها . وكان للكارهين للملك الأشرف خليل ، وبينه وبين وزيره ابن السلعوس تنافس وعداء ، فعمل الوزير وسعى حتى عزله عن كل ما بيده من المناصب ، وكانت سبعة عشر منصباً ، وبالغ في إهانته ؛ ثم سعى له بعض الأمراء فعين بالمدرسة الصلاحية ، ولكن ذلك لم يرض ابن السلعوس فعقد له في ذي القعدة سنة ٦٩١ مجلساً وندب له العلم ابن بنت العراقي الذي نسب إليه كثيراً من المظالم فاعتقل وتوعد بالقتل ، وظل في بلاء إلى أول شهر رمضان سنة ٦٩٢ ، حيث أفرج عنه ، ومضى مع الركب إلى الحج ، وزار النبي صلوات الله عليه ، وأنشده قصيدة يمدحه بها ومات عبد الرحمن سنة ٦٩٥ .

٤ — الاتجاهات الحديثة فى الإسلام :

القانون والمجتمع

للأستاذ هـ . ا . ر . جب

(تتمة)

ولما كان من الواضح أنه يستحيل مناقشة مئات الآلاف من الكتب والنشرات ، وتلخيص محتوياتها ؛ فإن الأفضل شرح الاتجاهات العامة ، وتلخيص الفصل الذى كتبه سيد أمير على عن مركز النساء فى الإسلام .

والحق أن الكاتب كان شيعياً ، واتخذ وجهة نظر عقلية تجاه القرآن ، بيد أنه أظهر عملياً ما بلغه المجدد المعارض حول الموضوع ، وقد اتبعه كثير من الكتاب المتأخرين الذين كرروا تأكيداته فى كل لغة إسلامية بدرجات أقوى وأشد . قال سيد أمير على : « فى مراحل خاصة من التطور الاجتماعى ، يكون هناك ما يبرر تعدد الزوجات ، فلا يمكن تجنبه . وإن حروب القبائل المتكررة ، وما يعقبها من مذابح تقضى على الذكور من السكان ، مع السلطة المطلقة التى يملكها الرؤساء ، كل هـذا خلق تلك العادة التى نعتبرها بحق شراً لا يطاق فى الأزمنة الحديثة » .

إن النزعة العلمية فى العبارة الأولى خطيرة ، تتبعها مجموعة ملاحظات موجزة عن تقاليد الزواج عند مختلف الأجناس القديمة ، ثم مناقشة حول سماح الكنيسة المسيحية الأولى بمزاولة تعدد الزوجات سراً وعلانية ، « حتى أن القسس استفادوا من عادة الإبقاء على عدة زوجات ثانويات (غير شرعيات) بواسطة الحصول على ترخيص من المطران أو الأسقف [١] » .

(١) « يظهر أنه شاع بين القسس اقتناء الخليلات اللائى كن غالباً زوجاتهم كما يقول كولير » P . 323 « فى كل بلد يحتفظ العلماء الدينيون والعلمانيون بنساء فى بيوتهم ، والاتصال الجنسى على أساس رموز متعارف عليها ، فيتجاهلون المثل العليا » . ومن الصعب أن تصدق أن متعمقاً فى الانجليزية — مثل سيد أميرعلى — يكون غريباً عن التقاليد الانجليزية لدرجة أنه يعتقد أن استخدام الجمع فى هذه الصفحات معناه تعدد الزوجات أو الخيلاء ! .

ووكل أمر التدريس فيها سنة ٦٧٨ إلى قاضى القضاة محمد ابن الحسن بن رزين بعد عزله من وظيفة القضاء ؛ لأنه توقف فى خلع الملك السعيد ، وقرر له نصف المرتب الذى كان يتقاضاه الخبوشانى .

ولما مات ابن رزين وليها الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد على أن يأخذ ربع المقرر ، فلما عين بها الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى قرر له المرتب كله ، وقد عين الخضر قاضياً للقاهرة والوجه البحرى ، وجلس للحكم فى المدرسة المنصورية بين القصرين ، ورسم له أن يجلس فى دار العدل فوق قاضى القضاة ابن بنت الأعز ، ومات فجأة فى ٩ صفر سنة ٦٨٦

وكانت هيئة التدريس فى هذه المدرسة مكونة من مدرس وعشرة معيدين ، ومر بها ثلاثون سنة خلت فيها من مدرس واكتفى بالمعيدين . ولسنا ندرى بالضبط تحديد تلك الفترة التى خلت فيها المدرسة من المدرسين ، ولعلها سبقت تولية تاج الدين ابن بنت الأعز أمر التدريس فيها ؛ لأن سلسلة مدرسيها متتابعة منذ ولايته ، كما لا ندرى السبب الذى دفع أولى الأمر إلى الاستغناء عن مدرس بها .

وعرفنا من بين من قام بالإعادة فى هذه المدرسة محمد بن علم الدين بن القماح الذى استقر معيداً بتوقيع شريف سنة ٦٨٠ ، وجعفر ابن يحيى التزمنتى الذى كان شيخ الشافعية بمصر فى زمانه وأخذ عنه فقهاء عصره ، وألف شرح مشكل الوسيط ، وكان مدرساً بالمدرسة القطبية وتوفى سنة ٦٨٢ ؛ وشمس الدين الأصفهانى العالم المشهور فى المنطق وأصول الدين وأصول الفقه والمؤلف فيها ، والمعروف بالهيبة والوقار فى دروسه . وقد أنف هذا الأستاذ أن يكون معيداً بالمدرسة عند ما عين ابن دقيق العيد مدرساً بها ، قال السبكى : « ونحن نقيم عذره ، من جهة مشيخته وقدم هجرته ، وإلا فالتحقيق به وبأمثاله الاستفادة من إمام الأئمة تقى الدين » .

ومن المعيدين فيها عماد الدين عبد الرحمن بن أبى الحسن الدمنهورى وهو فقيه شافعى ألف على التنبيه فى الفقه كتاباً له دعاه النكت وتوفى سنة ٦٩٤ .

وبقيت هذه المدرسة عامرة بالدراسات المتنوعة إلى أن لاشتها الحوادث فى أوائل القرن التاسع .

(حلوان الحمامات) أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

وقد كان أعظم خطأ ارتكبه الكتاب المسيحيون ، هو قولهم إن محمداً صلى الله عليه وسلم ، خلق تعدد الزوجات أو جعله قانونياً ، فإنه لم يجده منتشراً بين العرب فحسب ، بل كان منتشراً بين اليهود مع سائر العادات والتقاليد الكثيرة التي تحط من قدر النساء .

« إن نبي الإسلام (ص) قد أوجب احترام النساء كقاعدة عامة من أحكامه الرئيسية المقدسة ؛ وحباً في ابنته الشهيرة وتخليداً لها قد أطلق أتباعه عليها « سيدة الجنة » كممثلة لبنات جنسها . إن سيدتنا هي جماع كل ما هو مقدس في النساء ، وكل طهر وقدسية في جنسها . إنها أنبل مثل للخلق الإنساني [لا تنس أن أمير علي كان شيعياً] وقد اتبعها سلالة طويلة من النساء اللائي شرفن جنسهن بفضائلهن . من ذا الذي لم يسمع برابعة الطاهرة ، وألف من أترابها ؟ » .

ثم يذهب المجدد ويضيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ضمن للنساء حقوقاً لم يكن يملكنها من قبل . أي أنه وضعهن على قدم المساواة التامة مع الرجال أمام القانون ، كما حد من طغيان تعدد الزوجات ، وذلك بتحديده النهاية الكبرى للزوجات المشتركات بأربع ، ولكن إذا تعذرت عليك المساواة والعدل بين النساء وجب عليك أن تتزوج واحدة فقط . وهذا الأمر هام جداً ، إذ أن العدل المطلق في المسائل العاطفية من الأمور المستحيلة ؛ لجاء القرآن وفصل فيها (١) .

لكن تعدد الزوجات يعتمد على ظروف كثيرة ... وإن تلاؤم القوانين أعظم اختبار لمدى فائدته ونفعه (٢) .

« هذه أحكام القرآن ، وهي لا شك — ملائمة لمعظم المجتمعات المتحضرة وغيرها . أما الضربات والسهام التي صوبت نحو الأمم الإسلامية ، فمرجعها سوء استخدام مبدأ الاجتهاد . وليس ببعيد ذلك اليوم الذي يتبع فيه كلام الله في حل المشكلة . سواء اتبع المسلمون محمداً (ص) أو مشايخهم الذين أغضبوا الله ليشبعوا رغباتهم أو يستجيبوا لمطالب الخلفاء والسلاطين — وكانوا خدماً لهم » .

وهذا ينتج من التنوع في نظرة الحقائق ، والفهم الصحيح للسنة النبوية : وقد أصبح الشعور ضد تعدد الزوجات عقيدة اجتماعية أكثر منها أخلاقية . وجرى العرف بين مسلمي الهنود على أن يشترطوا شرطاً في عقد الزواج من شأنه أن يمنع الزوج من استخدام حقه في الزواج الثاني أثناء استمرار الزواج الأول . وفي الوقت الحاضر يشيع الزواج بالواحدة (مونوجامي) بين ٩٥ ٪ من مسلمي الهنود . والأمل أن يعلن شيوخ المسلمين نظرياً ، أن تعدد الزوجات — مثل الرق — يعارض أحكام الإسلام .

وأعقب هذه المناقشة صفحات عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فعارض وكذب ما قيل عنه من أنه يرجع إلى إشباع رغبات النفس . ثم اتجه نحو الطلاق ، واتبع نفس الأسس التي اتخذها في مناقشة موضوع تعدد الزوجات قال :

« ليس من شك في أن أحكام القرآن في معاملة النساء في الطلاق (وليس في الطلاق نفسه) رحيمة تتمشى مع العدالة » .

ومع أن النبي (ص) كان يكره الطلاق (١) ، وجد أنه يتعذر القضاء على التقاليد نهائياً في ظروف المجتمع السائدة . وبالتدريج سمح للأزواج بأن يطلقوا زوجاتهن بشروط خاصة . وقد أبرزت الإصلاحات المحمدية مرحلة جديدة في تاريخ التشريع في الشرق . فينبغي أن تقرأ نصوص القرآن في ضوء اتجاه الشرع . ولقد تجاهل أئمة المسلمين مبادئ كثيرة في العدل الإلهي . ومهما يكن من شيء فإن هذه القوانين أكثر عدالة ورفقاً بالنساء من نصوص القانون الروماني الذي نشأ في رعاية الكنيسة (المسيحية) .

وأخيراً يهاجم حجاب النساء ، أو البردة كما يسمى في الهند . ويبدأ بأنها من بقايا التقاليد العتيقة التي من شأنها أن تعوق نهضة الأمم الإسلامية . مع أنه يقرر أن هذه البردة لها مزايا مختلفة عند المجتمعات غير المتحضرة ، والبدوية .

« ولم يجيء في القرآن أي نص على أن الحجاب جزء من أحكامه

---

(١) تاريخ الأستاذ الامام : ج ٢ ص ١١٣ ، نور الاسلام ؛ س ٢ ص ٦٤ — ٨٢ ، س ٥ ص ٥٢٨ — ٢٩ .

(٢) أحدث المناقشات في هذا الموضوع — بعد إعلان معالي عبد العزيز فهمي باشا رأيه القيم — في الرسالة : عدد ٧٦٤ والأعداد التالية (فبراير — ابريل ١٩٤٨) [المترجم]

(١) أبغض الحلال إلى الله الطلاق : حديث شريف . (المترجم)

الجديدة . ولما ظهرت البروتستنتية ، قضت على جميع الفوارق الاجتماعية ، والاختلافات فى نظرة المشرعين إلى مركز المرأة . وقد عامل السيح (عليه السلام) المرأة بكل رفق ورحمة ، فى حين أن أتباعه أخرجوها من نطاق العدالة . وهذا الاتجاه الذى شاع فى الأزمنة الحديثة يرجع إلى فرسان الصحراء ، وقد انتقل إلى الغرب بواسطة الصليبيين والتروبادور ، وانتشر فى عصر التبريرين فى أوربا ، وفى القرون الأولى للاسلام . وكانت المرأة تشغل مكانها اللائق — كما فى المجتمع الحديث . ومع التحسينات التى أدخلت على المركز الاجتماعى للغربيات ، فإن مركزهن الشرعى لا يزال منحطاً فى أعظم المجتمعات تمديناً فى العالم المسيحى » .

إن المشرع الذى يعطى حقاً للمرأة ، عذراء أو متزوجة ، أماً أو زوجة — فى عصر ليس فيه مجتمع ولا دولة ولا نظام — قد حرمت منه فى الأمم المتمدينة ، هذا المشرع جدير بأسمى صفات الإنسانية . ولو أن محمداً (ص) لم يفعل أكثر من هذا لكان بلا جدال مصلح الإنسانية .

فإذا كانت هذه الخلاصة لم توضح شخصية أمير على فى مناقشته ، فليس هذا مقصوداً .

وفى محاضرته السادسة يناقش التفاعل بين القانون والمجتمع ، وبعد أن يشير إلى « النظرة الديناميكية للقرآن » التى لا تتعارض مع فكرة التطور ، يقرر أنه فى مجتمع كالإسلام لا يزال استعادة التعاليم القديمة قائماً . وقد نجح الإسلام إلى حد كبير — بأحكامه الواضحة — فى خلق ما يشبه الإدارة أو الشعور الجمعى ، بين مختلف الجماهير من معتنقيه .

***

ثم يعود إقبال ويقول :

« إنى أعلم أن علماء الإسلام يحتجون فى النهاية بالمدارس العامة للشريعة الإسلامية ؛ ولكن ما دامت الأشياء قد تغيرت ، وأثر فى العالم الإسلامى قوى جديدة ، نشأت من تطور التفكير البشرى فى جميع الاتجاهات ، فإنى لا أرى سبباً فى أن يظل هذا الاتجاه ثابتاً للآن » .

ثم يرجع إلى موضوعنا ويترك مسألة الطلاق ليناقش مشكلة الميراث ، مشيراً إلى قصيدة زيا جوك ألب ، التى سبق نقلها :

.. إن المساواة فى الطلاق والانفصال وفى الميراث ، ليست ممكنة فى الشريعة الإسلامية . ولست أعلم ما إذا كان للنهضة النسائية فى تركيا ، مطالب لا تناقش من غير تفسيرات خاصة وأسس ثابتة . وقد ارتبط القضاة من الهنود المحافظين بالأعمال المقننة ، والنتيجة أن الناس يتحركون ، فى حين يظل القانون ثابتاً ! .

وبالتأمل فى مطالب الشاعر التركى ، فإنى أخشى أنه يجهل قانون الأسرة فى الإسلام ، وأنه لم يفهم الأهمية الاقتصادية لقانون الوراثة فى القرآن . فما ينبغى أن نفهم من عدم المساواة هذه أن القانون يفرض تفوق الذكور على الإناث ، فإن مثل هذا الفهم لا يتفق وروح الإسلام ؛ فقد جاء فى القرآن : ولهن مثل الذى عليهن . فليس نصيب البنت فى الميراث على أساس التقليل من شأنها أو تحقير أمرها ، ولكن باعتبار الفرص الاقتصادية التى أمامها ، ومركزها الذى تشغله فى الجماعة ، وهى جزء منها .

ولا بد أن يلاحظ — كما قلت — أنه يمكن استخراج حكم عام من رأى إقبال وهو « أنه مع عدم المساواة الظاهرة فى الميراث ، فإن المشرع قد ضمن المساواة التى ينشدها الشاعر التركى » . ولكن إذا حاولنا أن نثبت ذلك ، لا نحصل من القرآن على نص يضع من شأن الإناث بجانب الذكور . وقد غض الطرف عن الحقيقة ، وهى أن العبارة الآتية التى وضعت لهذا الغرض هى : « وللرجال عليهن درجة (١) » .

فإذا اتجهنا إلى الناحية العملية عند المجددين ، وجدنا بعض اختلافات . فإنى أشك فيما إذا كان يوجد فى العالم الإسلامى — خارج تركيا — أى طبقة محترمة من المجتمع ، تتمتع نساؤها بما يشبه المساواة الاجتماعية التى ينشدها المجددون — إلا الطبقات المتوسطة المتفرنجة فى مصر ! حقاً إن تعليم البنات فى كثير من الأقطار الإسلامية يخطو خطوات واسعة ، وأنه يوجد اتجاه عام نحو التحرر الاجتماعى للنساء ، ولكن حتى فى مصر ، لا يزال مجال الفرص الاقتصادية محدوداً . ولا يزال النقاب محتفظاً به قال مستر سميث . بل إن عدداً كبيراً من المثقفين ، والسلمين

(١) سورة ٢ ، آية ٢٢٨ : « البقرة » .

الأحرار والأولياء الهنود ، ينظرون إلى البرقع بين الاجـلال والإكبار ، ويجعلون نسـاءهم وبناتهم يحتفظن به . وعلى ذلك فالتراجع من تعـدد الزوجات إلى الحجاب يقف فى مرحلته الأخيرة ؛ عندما يصل إلى انفصال الجنسين segregation (١).

ولم يكن إقبال شاذاً فى هذه القاعدة العامة .

« وقد عارض هؤلاء الذين يعتقدون أن النساء قد يشاركن فى العالم المعاصر الجديد . وقد تصور الأوربيات بلا قلوب ، يكرهن الأمومة والحب والحياة ! أراد أن تظل النساء « طاهرات » فى حماية وأمن ، ولم يرد لهن نشاطاً ولا حرية . . يجب أن تظل المرأة كما كانت فى صدر الإسلام محتجبة فى عزلة ، مطيعة للرجال . . يجب أن تبقى وسيلة إلى غاية . ولقد جعل إقبال نساءه يحتفظن بالبردة ، وأخرج للعالم رأيه فى المرأة المثالية فاطمة الزهراء :

هى ربة الشرف الرفيع ، خير النســاء وفخرهنه (٢)
والأمهـــات كما أرى فى النبـل فاقت جمعهنه
وكأنهـــا بفعالها حصـلت على سر النـــار والجنه
وبمثلهـــا تبدو لنـــا خيـر النســاء أبرهنه
كانا كفرد إن بدت لهما على الأيام محنـــه
أيمـــا تكون تزعت بكلام ربك مطمئنـــه

ومع ذلك فإن إقبال وجب عليه أخيراً أن يعترف بخطئه فى أمر النساء . وقد ختم قصيدة صغيرة له بقوله (٣) .

لقـــد ظلمت المرأة ، لذلك أعتـذر لهـــا
غير أن المشكلة معقدة ، فلم يكن فى الإمكان حلها

وليس من شك فى أن منطق التاريخ سيغير تغييراً شـاملا موقف المجتمع الإسلامى من هذه المشكلات . فقد تبين للمحافظين والأحرار على السواء ، أن حرية الطلاق هى السبب فى الأخطار المحدقة بالمجتمع الإسلامى (٤) . ومما يجدر ذكره أن المجددين — فى معارضتهم للمدنيين الذين يرغبون فى فصل التقاليد الاجتماعية عما ربطها بالأحكام الدينية — ظلوا يعترفون بالعلاقة الأساسية بين السلوك الاجتماعى والاعتقاد الدينى ، فأعلنوا أن المجتمع إذا أصلح ، فينبغى أن يأتى الإصـلاح من طريق دينى ، أولا يكون مستقلا عن الدين أو معارضاً له . وقد جهلوا الاختلافات بين المجتمع الإسلامى والمجتمعات الغربية فى النشأة والأحوال الجغرافية والظروف الاقتصادية والاتجاهات الثقافية .

وعندما تتطور مثل هذه التيارات الاجتماعية فى الإسلام — بتأثير التطور المحلى ، ستظهر للمشكلات حلول ، ليس من الضرورى أن تتفق مع الحلول فى الغرب ، بل ستؤسس على التجارب وحاجات المسلمين .

ترجمة

محمد محمد على

---

(١) weifred Crutwell Smith ' Mobern Islam in India ' (Lahore ' 1643 PP . 180 — 181)

(٣) عرض هذا القصيد بهذا الأسلوب صديق الأديب كمال لطفى أبو طربوش : (المترجم)

(٣) idi ' ' P ' 162

(٤) انظر مقالة عباس طه فى نور الاسلام : س ٦ ص ٢٦٣ — ٦٩ وهو يثبت التعديلات التى أدخلت فى قانون الأسرة فى التشريع المصرى ١٩٢٠ و ١٩٢٩ (Schact ' op ' cit ' p 223) على أن الكتاب المحافظين لم يمتنعوا عن الدفاع عن تعدد الزوجات . نور الاسلام : س ٢ = ص ٥٦٤ — ٨٢ ؛ ص ٧٠٦ — ١٣ ، وفريد وجدى بك س ٥ ص ٥٢٨ — ٣٨ . وتجد موقف رشيد رضا والرأى الذى ملخصاً فى كتاب : Henri La onst Le Califat dans la de Rechid ' 35 ' n ' 292 ' P (1638) أما عن الهند فيراجع : Smith : op cit . pp . 79 — 321 . ونقطة الضعف فى الجدل فى أن التقاليد الاجتماعية المؤسسة على اعتراف الاسلام بتعدد الزوجات ، أفضل من تلك التى أساسها القانون المسيحى الذى يقر وحدانية الزوجة « مونوجامي » ، التى تعكر صفوها العاهرات . وقد يقبل هذا الجدل إذا كانت تؤيده الوقائع ، ولكنهم يغضون الطرف عن انتشار العاهرات فى المجتمع الاسلامى .

محمــــد إقبـــال
شاعر الشرق والاسلام

للأستاذ مسعود الندوى

١٣٨٩ — ١٨٧٣ ١٣٥٧ — ١٩٣٨

— ٣ —

١٩٠٨ — ١٩٣٣

سُحبٌ من الدماء متراكمة تريد أن تمطر على طرابلس الغرب ، وأخرى كِسَفٌ من الغمام بدأت تُرسل النجيع الأحمر مدراراً على سُهول أدرنة ، وفى الجو طائرات تريد أن تنقضّ على الدولة العليّة — ودولة الخلافة — فتسلبها البقية الباقية من تراث أسلافها ؛ وأجسادٌ من شيوخ المسلمين وشبانهم مضرجة مطروحة على شارع من شوارع (كان بور (١)) محميَّة بالجند ورجال الشرطة ... مشهد مؤلم فى طرابلس الغرب أهاب بالمجاهد العربى فهزّته الحمية الإسلامية وجعل يهتف : الله أكبر ، سيف الحق مسلول ؛ ومأساة فاجعة فى أدرنة أنطقت شاعر الكنانة وجعلته يرسل أنغامه دُرراً منظومة :

يا أخت أندلس عليك سلامُ . هوت الخلافة عنك والإسلام
نزل الهلال عن السماء ، وليتها طُويت وعمَّ العالمين ظلام

وهذه المآسى المحزنة ، وتلك الفجائع المؤلمة ؛ وأخرى من مهازل الاستعمار فى طول الهند وعرضها ، جعلت صاحبنا شاعراً إسلامياً يتألم لكلّ ما يصيب المسلمين من أذى أو مكروه ، فتجود قريحته المطبوعة بما يربط جأش المجاهد ويُبصِّر الفقيه المنعزل فى زاويته ويُرشد المتموه الأبله المنخدع بأضاليل الغرب وترهاته . وهو بين هذا وذاك مؤمن بالله لا يتسرب اليأسُ إلى نفسه ، وقلبه مطمئن بالإيمان . فهو يقول :

(١) إشارة إلى مأساة مدينة كان بور التى وقعت عام ١٩١٣ ، والتى هدمت فيها الحكومة جزءاً من مسجدها الجامع لتوسيع أحد الشوارع الكبرى ؛ فثار ثائر المسلمين وأرادت جماعة منهم أن تبنى الجامع من جديد وتعيده إلى سيرته الأولى بالرغم من الحكومة وجنودها . ولما بدأوا بالعمل أطلقت عليهم الجنود النيران وفتكت بهم فتكاً ذريعاً .

إنك مسلم ، فاجعل قلبك معموراً بالأمانى والآمال واذكر دائماً وعد الذى قال : (إنَّ اللهَ لا يُخلفُ الميعاد)

وتراه لا يجزع للنوائب والملمات :

« عشية الألم تسفر عن صباح العيد ؛ هاهو ذا تبلّج فجر الأمل من بين دياجير اليأس » .

ولله قريحته حيث جادت بهذا البيت النفيس :

هل ننثر الأزهار والرياحين على قبر الشهيد الذى فمل المسفوح من دمه بأمتنا ، فمل الغيث بالشجرة النابتة

وهذا المعنى — أى معنى الحياة بعد المات والفرج بعد الشدة والنجاح بعد اليأس — مثله كمثل غرض تماوره الرماة ، فمنهم من هو مقصرٌ دونه ، ومنهم من هو واقع يميناً وشمالا ، ولم أر أحداً أصاب المرى كصاحبنا ممن تقدم وتأخر . ولكن من أين لى ذلك البيان الذى يُضاهى بيان شاعرنا ، شاعر الإسلام . وهذا عذرى إلى من وجد الترجمة ركيكة . فمن أبياته الراقية فى هذا المعنى :

ما لنا نحزن ونكتئب ، إذا تتابعت النوائب على العثمانيين(١)
فإن الفجر لا ينبثق إلا بعد ما يهراق دماء مئات الألوف من الكواكب

رجع محمد إقبال من أوربا ، والهند الإسلامية تكاد تحسّ بتقهقرها فى ميادين العمل والكفاح ؛ وزعماؤنا المتفرنجين فى دينهم وأخلاقهم والرجعيين فى سياستهم ، سلطانٌ عليهم ، فاتخذ من شعره البليغ المعجز آلة لإيقاظ النائمين من سنباتهم وتثقيف الشبان العاملين وصرفهم عن الاغترار بمظاهر التمدن الحديث ، ووسيلة لتربية ملكات المتعلمين النفسية والخلقية وتطهير نفوسهم من أدران الأقليمية واللون والنسب . وبدأ يقرض القصائد ويطبع الدواوين حتى أنبتت بذرته وأثمرت وآتت أكلها . وما هذه النهضة التى نُشاهد اليوم آثارها إلا وميض من بروق إقبال وصنيعة من صنائعه :

صنائع فاق صانعها ، ففاقت وغرسٌ طاب غارسُه فطابا

وكان من حُسن حظ الشاعر الحكيم — أجزل الله مثوبته فى الدارين — أن قد شاهد هذا الغرس ينمو ويكبر أمام عينيه إلى أن أصبح شجرة باسقة الفروع ، وهو حيٌّ يرزق .

(١) يريد آل عثمان ، حملة لواء الخلافة يومئذ .

في الطور الثالث من حياته الشعرية جاش صدر إقبال بشعر قوي بليغ ، ممتلىء حكمة وقوة ، نبَّه النائمين من غفلتهم القاضية عليهم وأرشدهم إلى الصراط السوي في حياتهم السياسية . ومن خصائص هذا الشعر أن صاحبه يُفرغه في قالب من التحدي بليغ كأنى به يُلهَمُه إلهاماً . أما معانيه السامية فما لا يُستراب فيه أنها لا تتسنى إلا لمن فتح الله قلبه لأسرار الطبيعة ، وحوادث المستقبل . وأحسن كلمة له في هذا الطور « منارة الساري » أو « دليل الطريق » (خضرراه) التي يبين فيها الشاعر الحكيم بلسان الخضر مشاكل السياسة الأوربية وأسرارها ، وحذَّر المسلمين وأهل الشرق من الوقوع في شركها ، وأنار لهم فيها الطريق السوي الضامن لسعادتي الدين والدنيا ، إلى غيرها مما جاء في ثناياها من درر الحكم وغررها . وهاك ترجمة بعض أبيات منها . قال — برَّد الله مضجعه — يكشف النقاب عن وجه الجمهورية الغربية الدميم :

« ما هـذه الجمهورية الغربية إلا تلك القيثارة العتيقة التي لا يظهر من أوتارها غير أصوات الدرقلية والـكسروية ؛

وهذه الملابس الجمهورية المزركشة يمرح فيها شيطان الاستبداد ويختال ، وأنت تزعم أن عروس الحرية الجميلة تميس في بردها ؛

وهذه مجالس التشريع والإصلاح ولجان الحقوق كلها أدوية حلوة المذاق ، اخترعها الطبُّ الأفرنجيُّ للتنويم والتخدير »

وسقى الله تلك القريحة المبدعة التي أرادت أن تصوِّر حال العالم الإسلامي بعد الحرب العظمى فأحسنت وأبدعت :

« قد ذهب أبنـــاء التثليث بتراث إبراهيم
وأصبحت تربة الحجاز أساساً لبنيان الـكنائس الأوربية ؛
« وأضحت دماء المسلمين رخيصة كماء النهر الجـــاري ؛
وما بكاؤك لهذه الحال المؤلمة إلا لأنك لا تعرف حكمة الله في عباده »

وفي الختام يصف دواء ناجعاً لجميع أدواء الأمة :

« لا يمكن تخليص الشرق من براثن الاستعمار ونجاته من سلطته إلا إذا اتحد المسلمون ، واجتمعت كلمتهم ، ولـكن أهل آسـيا لا يزالون يجهلون هذه الحـكمة البالغة . وحذار أن تبقى متلهياً بالنظريات السياسية الباطلة ، وادخل في حمى الدين من جديد ، فإن المملكة إنما هي ثمرة من ثمرات الدفاع عن الحرم .

فليتحد المسلمون وليكونوا كتلة واحدة متضامنة للذود عن بيت الله الحرام من شاطىء النيل إلى أرض كاشغر .

والذي يُفرِّق في ذلك بين اللون والدم ، سوف ينعدم وجوده من وجه الأرض .

سواء في ذلك التركي الأبي والعربي النبيل .

وإن آثرت أيها المسلم عنصرك وسلامتك على دينك ، فلن يبقى لك عين في هذه الدنيا ولا أثر » .

وجـدير بالاستماع والأدكار ، رأيُ صاحبنا في الحضـارة الجديدة من هذه الـكلمة ، لأنه ممن قتل الغرب بحثاً ونخـل علومهم نخلا . قال « لله دره » :

« تعجبـكم هذه الحضارة الحديثة ويبهر عيونـكم جمالها وما هي إلا كفصوص موهتها يد الصناع وجلتها فاختطف الأبصار لمعانها الـكاذب .

والحـكمة التي يفتخر بها حكماء الغرب ويتشدقون ببركاتها هاهي قد عادت بأيديهم سيوفاً تقطر دماً .

أترون أن هذه الحضارة يكتب لها الخلود بالحيل التي يدبرها لها ساستها ؟ لعمر الحق ، أن كل حضـارة أسِّس بنيانها على التنافس في الأموال والتـكالب على الشهوات سوف تنهـــار ويتبدَّد شملها » .

وفي هذا الدور من شعره كلمات أخرى مأثورة مشهورة في «طرابلس الغرب» و« فاطمة الشهيدة » و« الشكوى إلى الله » وغيرها من القصائد المنثورة في ديوانه « نداء الرحيل» (بانك درا) لا يتسع المقام للاقتطاف من أزهارها .

بلغ الشاعر في المرحلة الثالثة من حياته الشعرية قمة مجده في الأدب ، وحلَّ من محل قلوب المتأدبين محلاً يتنافس فيه المتنافسون ، وذلك أن شعره في هذه المرحلة كان مرآة لعواطف الأمة وأمانيها ، وصورة صـادقة لنهضاتها السياسية والأدبية ، فوجـدت الأمة في زفراته وتأوهاته ، صدًى لآلامها المتتابعـة والنوائب المتوالية المنصبَّة على رؤوسها ، وفي دعوته وعظاته ، ضالتها المنشودة وأمنيتها . وهو بعد كل ذلك شاعر يهز مشاعر النفس ، وخطيب يُذكي في أعماق الفؤاد جذوة العمل والـكفاح ، وحـكيم يقيهم مهالك الغرب وخزعبلاته ، ويرشدهم إلى طريق الخير والسعادة .

قد أدّى شاعرنا مهمة كبيرة من حياته فى هذه المرحلة الشعرية ، حيث أبلغ الأمة دعوته أو رسالته ؛ لكنه ما وهبه الله هذا البيان والحكمة ليكون شاعر شعب دون شعب ؛ وإنما أراد ربك أن يكون شاعر الأمة الإسلامية جمعاء ، يدعوها إلى التكاتف والتعاضد ، ويُريهم سبل الحق والسلام ، وينير لهم المحجة البيضاء فى ظلمات المادية الحالكة . أما شعره فى الأردية فما كان ليخترق حدود الهند ، فاختار اللغة الفارسية واتخذها وسيلة لتعميم دعوته أولا ، وتثقيف المتأدبين (١) من أهل الهند ثانياً .

وأول شعر نشره باللغة الفارسية مجموعة « أسرار خودى » (أسرار فلسفة الذاتية التى يؤمن بها « إقبال » ويدعو الأمة إليها دائماً) . وهذه المجموعة من شعره تحتوى على أسرار وحكم مفرغة فى قالب الأدب ، تبين للمسلم السبيل التى يُمكّن بها من ترقية ملكاته النفسية حتى تخضع الطبيعة لإرادته ، وينزل القدر عند مشيئته . وهذه هى فلسفة « خودى » (تربية الملكات الذاتية) التى جعلها الشاعر قطباً تدور حوله جملة كبيرة من شعره البليغ فى هذه المجموعة وغيره من الدواوين . فإنه اهتم به « خودى » كثيراً ورأى أنه لا يُكرم فى الدنيا إلا الذى يكرم نفسه ، ويُرى للعالمين ما فى نفسه من إباء وسموحة وعلو فكرة . ويكفينى مؤونة التطويل فى شرح الذاتية « خودى » ما بيّنه الشاعر من ثمراتها فى بيت له :

اشحذ قوتك الذاتية (خودى) وأزردها فى مكانة من القوة والعلو
حيث يسأل الله العبد عن مرضاته قبل أن يجعل لشىء أجلا .

لا يريد الشاعر أن الله تعالى يسأل العبد عن مرضاته فى الحقيقة ؛ وإنما جعل ابتغاء الله لمرضات عبده مثلا فى تربية القوة الذاتية . وإنما يريد صاحبنا من المسلم أن يربى قواه النفسية تربية تخضع لإرادته الأرض وما فيها من القوى المادية والأدبية . وليس معنى ذلك أن يختار المسلم فى ترقية مواهبه سبيلا غير سبيل الكتاب والسنة . وبما أن فلسفة الذاتية (خودى) من أهم أجزاء دعوة حكيم الشرق ، عُنى بها أهل الشرق والغرب ، وترجم الدكتور نكلسن ، أستاذ صاحبنا ، ديوان أسرار (خودى (١)) بالإنجليزية . وكذلك عُنى بها جميع من أهل الغرب فى مسلمى الهند وقادة أفكارهم . وهاك فى ما يلى نبذة من أقوال الدكتور (تائيتس) فى كتابه الإسلام الهندى ، Indisn Islam (٢) لعل أكثر المعاصرين نفوذاً وأبلغهم تأثيراً فى إسلام الهنود ، هو الشاعر الفلسفى السر محمد إقبال الذى أبلغ أبناء دينه رسالة كان لها أثر فى نفوسهم . فإنه بين لهم إمكان التجديد الفردى وترقية القسم العالى من الشخصية بتقوية الإرادة وبتأدية اسمى ما يمكن المرء أداؤه فى هذه الحياة الدنيا حسب ما أمر به الله ورسوله .

وكذلك جاء فى كتاب دين الإسلام Irlamie Eaih (٣) للعالم النزيه الشهير الدكتور آرنكد ، وهو من أعرف الناس بمسلمى الهند ورجالهم ما تعريبه ، وبذلك يعرف القارئ ما فى شعره من فلسفة :

ووجدت الحركة الجديدة فى الهند لساناً فصيحاً فى شعر السر إقبال ، أحد من درسوا الفلسفة الغربية بجدّ واهتمام وأحاطوا بها ، ولقد أثر فى الناشئة تأثيراً بليغاً ، ولكن شعره ما استطاع أن يكون بطبيعة الحال أساساً لحركة دينية عامة منظمة للصبغة الفلسفية التى اصطبغت بها دعوته ، ولعل ذلك لم يكن قط من إرادة الشاعر ولا مرماه .

« يتبع » مسعود الندوى

(١) يرى شاعرنا أن التربية العقلية الناضجة التى أراد أن يربى الأمة وينشئهم عليها لا ينتفع بها إلا من أوتى حظاً وافراً من التعلم . ومن هناك اختياره لغة الفارسية لأنه لا يعرفها فى الهند إلا المتأدبون والمتعلمون

(١) تكلم الشاعر عن هذه الفلسفة فى جميع دواوينه التى طبعه فى ما بعد ، لكنه اختص هذا الديوان لإيضاح الفلسفة الذاتية . وتبين نتائجها ، ولذلك وقع عليه اختار الدكتور نكلسن

(٢) ص ٢١٥ (٣) ص ٧٧

الأزهر والإصلاح

للأستاذ محمد السيد أحمد الشال

— ٢ —

تكلمت فى المقال السابق عما أراه يحاك للأزهر مما ظاهره أنه توسع فى التعليم وتشعب فى الثقافة وإنى لا أعتب على القائمين بشئون التعليم أن يفكروا مثل هذا التفكير ويتجهوا مثل هذا الاتجاه ، فلهم فى هذا بعض العذر أمام وقوف الأزهر وعدم مسايرته للتطورات الحديثة فى الدراسات وطرقها ، وإنما أعتب العتب كله على رجال الأزهر أنهم لم يرسموا لأنفسهم نهجاً من الإصلاح يسيرون عليه . ولا يكفى أن يفكروا فيه فى غدوهم ورواحهم وأن يكون شغلهم الشاغل كما ذكر الأستاذ دنيا ما دام لم يظهر لهذا التفكير وهذا الشغل أثر ينم عليه .

ولقد بدأ الأستاذ المراغى عليه رحمة الله الإصلاح ورسم له من الطرق ما أعتقد أنه ينهض بالأزهر ويجعله يؤدى رسالته ؛ ثم مرت مدة من الزمن وقف فيها رجال الأزهر على الكثير من المآخذ على هذه النظم مما تسمع حديثه فى الكثير من مجالسهم وترى آثار التبرم والسخط بادية على الكثير من رجاله . ولكن هذه الأحاديث لا تعدو أن تكون تفريجاً عما فى النفوس ثم لا يكون لها من الأثر ما يتجاوز هذه المجالس . وقد يكون هناك فريق إذا ما ذكر أمامه الإصلاح أراح نفسه من حديثه بقوله أنه لم يمض على هذه النظم من الوقت ما يكفى للحكم عليها . وإذا استعرضنا قانون الأزهر كما قدمه المرحوم الأستاذ المراغى وصدر به المرسوم الأخير للإصلاح ونظرنا ما وضعه من النظم فى مراحل التعليم المختلفة نجده بصفة إجمالية قد أثقل طالب الابتدائى بالعلوم الرياضية بعد أن منعها من القسم الثانوى . وفى رأيى أنه لو بقيت الرياضة موزعة بين الابتدائى والثانوى كما كان الحال قبل صدور المرسوم الأخير لكان أفضل وأجدى على الطالب وأنفع له . وأما توزيع باقى المواد سواء منها المواد الأزهرية أو المواد الاجتماعية فى القسمين فهو توزيع حسن يتناسب مع مقدرة الطالب وكفايته فى المرحلتين .

بقى علينا أن ننظر إلى توزيع المواد فى الكليات المختلفة ، فأقول إن هذا التوزيع قد راعى فيه واضع القانون جهة الاختصاص فقط وأهمل ناحية أخرى هامة وهى شدة الصلة وقوة الارتباط بين المواد الأزهرية بحيث لا ينفك البحث فى إحداها من أن يجر الباحث إلى أن يتعرض إلى قضايا مختلفة من المواد الأخرى لا غنى له عن استيعابها حتى يمكن أن يتم بحثه وأن يحققه تحقيقاً علمياً دقيقاً ، وإذا لم يكن الباحث ملماً إلماماً تاماً بما يعترضه من قضايا المواد الأخرى لا يمكنه أن يتم بحثه على الوجه الذى يتطلبه التحقيق العلمى . والأمثلة على هذا كثيرة يدركها جميع رجال الأزهر . فدارس التفسير لا يمكنه أن يستغنى عن دراسة الأصول فضلا عن دراسة مواد اللغة . ودارس الأصول لا يستغنى عن دراسة المواد اللغوية أيضاً . وطالب كلية الشريعة وأصول الدين لا يكفيه فى دراسة اللغة ما حصله فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ، ونحن نعلم أن الدراسة فيهما تكاد تكون تلقينية . أضف إلى ذلك تركه فى هذه المواد فى مرحلة الكلية مما يجعله ينسى الكثير من قضاياها . والدارس فى كليتى اللغة وأصول الدين لا يستغنى عن دراسة الأصول بل هو فى أمس الحاجة إليه حينما يدرس شيئاً من التفسير والحديث . ولا يكفى ما هو مقرر فيهما من المذكرات الموضوعة فى هذه المادة فهى لا تعدو سرد القضايا دون التعرض لتفهمها وعرضها عرضاً يتذوق منه الطالب جمال هذه المادة ويدرك حاجته إليها فى الكثير من المواد .

ولا يليق بطالب كلية اللغة والشريعة أن يتخرج وهو لا يعلم شيئاً عن أصول الأديان والعقائد مكتفياً بما عرفه من دراسة القليل من علم التوحيد فى كتبه المدونة فى المرحلتين السابقتين وهى كتب لا تشفى غلة ولا تبل صدى .

هذا من ناحية القصور العام فى توزيع المواد فى الكليات ؛ وإذا انتقلنا إلى الدراسة فى التخصصات ونظرنا إلى المواد المقررة فى تخصص التدريس مثلا عجبنا كيف يرضى رجال الأزهر لناشئته أن يضيع من سنى حياتهم سنتان فى دراسة طرف من علم النفس والتربية وتاريخها وبعض المواد الأخرى مما يمكن أن يستوعبه الطالب بأقل مجهود أو بدونه فى سنى الدراسة فى الكليات ، وكان الأولى أن ينظم هذا التخصص وأن يزاد فى سنى دراسته سنة ثالثة وأن يقرر فيه دراسة بعض المواد الأساسية فى الكليات المختلفة دراسة تمتاز عن دراسة الكليات بسمة البحث والتعمق

فيه وتنوع طرقه مما يمد الطالب إعداداً كاملا ؛ وأظن فى وجود هذا التخصص على هذا النحو استغناء عن تخصص المادة .

وهكذا لا يعدم الباحث فى شأن التخصصات الأخرى جميعها من أن يرى بعض النقص الذى يستوجب تداركه .

وإنى إن أذكر ذلك لا أدعو إلى إدماج الكليات والرجوع بالأزهر إلى نظامه القديم ، ولكنى أقول أن اللازم أن يراعى فى تقسيم الكليات صلة المواد بعضها ببعض فوق ما هو مراعى من جهة الاختصاص ، فلا يقطع بين الطالب وبين جميع المواد الأساسية فى كلية أخرى ؛ بل يدرس فى كل كلية ما لا يستغنى عنه عالم أزهرى رسالته الأولى الدعوة إلى هذا الدين والدفاع عنه .

فيعمم فى جميع الكليات دراسة أصول الأديان جميعها وما طرأ على فروعها المختلفة من تغيير أو انحراف أو جمود وأسباب ذلك ، وحال المسلمين الآن والوسائل الناجعة لتوحيد كلمتهم ورجوعهم إلى دينهم . كما يدرس فى كل كلية من القضايا الأساسية فى كل مادة أصلية فى كلية أخرى ما تمس الحاجة إليه دراسة توسع وبحث واستيعاب لا دراسة سرد قضايا وتعداد أحكام كما هو الحال فى دراسة الأصول فى كليتى اللغة وأصول الدين . وتدرس جميع المقررات فى الكليات ولا يكتفى بدراسة البعض والامتحان فيه كما هو الحال الآن . بل تقسم المادة إلى قسمين قسم يقوم بدراسته أستاذ المادة يتناسب مع الزمن المقرر لها بحيث يلتزم الأستاذ بالانتهاء منه ، وقسم يترك للطالب تحصيله واستيعابه بحيث يكون الامتحان فى جميع المادة . وهذا العمل فوق فائدته التامة للطالب من ناحية دراسته لكل المادة له فائدة أهم وهى تعويده الاعتماد على نفسه فى دراسة ما يترك له مما يكون له شخصية مستقلة لا تركن فى كل ما يعن لها إلى السؤال والاستفهام . بل تركن إلى البحث والتنقيب .

ورأيى أيضاً أن ينظر إلى الكتب المقررة نظرة فاحصة ليختار لكل مادة من الكتب ما تكون بعيدة عن الحشد والتعقيد والاستطراد وسرد المسائل التى لا يستفيد منها الطالب إلا تضييع الوقت وتعويده التشكك فى كل ما يعن له من بحث . وأى فائدة تعود على الطالب الذى يريد دراسة مادة من المواد من صرف جل وقته أو كله فى تصحيح عبارة أو الوقوف على خطأ تعريف أو معرفة الأولى إلى غير ذلك مما يضيع عليه الكثير من معرفة قضايا المادة وحقيقتها . ولو كان هذا بقدر حتى ينبه الذهن إلى تجنب الخطأ لكان حسناً ، أما أن يكون هذا سبباً فى صرف كل المجهود إليه فهذا ما لا يقره منطق .

ونحن الآن نرى تطلع المسلمين إلى الأزهر وحاجتهم إلى علمائه يبصرونهم بدينهم ويهدونهم إلى شريعتهم . وليس كل المسلمين ولا غالبيتهم ممن يعرفون العربيـة أو يفهمونها . فالأزهر الآن فى أشد الحاجة إلى دراسة اللغات الأجنبية فى جميع سنى الدراسة حتى يمكنه أن يؤدى رسالته على الوجه الأكمل سـواء فى المحيط الإسلامى أو فى المحيط العالمى . فالعالم الآن على مفترق الطرق يتطلع إلى خير النظم التى تكفل الاستقرار والسلامة لجميع الناس ، ويتخبط المفكرون منهم فى بيداء التفكير والبحث علهم يقفون على طريق يوصل إلى الغاية ؛ وليس هناك من طريق موصل إلا طريق الإسلام .

وأنى للعالم أن يهتدى إلى ذلك إذا لم يقم رجال الأزهر بنشر دعوته وتبيين حقيقته ودحض المفتريات التى يذيعها المغرضون أو الجاهلون عن الدين مما ينشر كل يوم باللغات المختلفة ولا نعلم من أمره شيئاً .

وفى السكوت على نشر مثل هذه المفتريات وعدم تجلية حقيقة هذا الدين للعالم تقصير عن أداء رسالة الأزهر ورسالة الإسلام .

ولقد اتخذ كثير من كتاب الغرب حال المسلمين وما هم عليه من جهل بدينهم وانحراف عنه وتأخرهم وانحطاطهم حجة يقوون بها مفترياتهم ويؤيدون بها دعاواهم فى أن هذا الدين لا يصلح لتنظيم المجتمعات ولا لإسعاد الجماعة .

هذه ناحية ، وهناك ناحية أخرى وهى أنه يوجد بين أضابير المكتبة الأزهرية كثير من الرسائل فى المواد المختلفة تقدم بها إما طلاب منتهون لنيل الشهادات النهائية ، وإما أجلة العلماء للحصول على عضوية هيئة كبار العلماء . ولقد عفى على هذه الرسائل الزمن وعلاها كثير من الغبار ولا يسمع أحد بها ولا يطلع أحد على ما فيها ؛ ولم لا تتخذ هذه الرسائل نواة لإصلاح الكتاب ؟

وهل هـذه الرسائل لا يرتفع قدرها إلى قدر ما كتب منذ ثمانية قرون أو يزيد على طرق من البحث وأساليب من التفكير تتناسب والعصور التى كتبت فيها .

وإذا لم يكن لهذه الرسائل من التقدير ما يجعلها أرفع شأناً

مما كتب فى تلك العصور فلم قدرت من اللجان التى نظرتها تقديراً استحق صاحبها بسببه أن ينال شهادة أو يظفر بشرف العضوية ؟

ولا أدرى سبباً لإهمال هذه الرسائل اللهم إلا أن تكون هناك عقيدة لتقديس الآثار فظن من تمسك بها أن الخير كل الخير فى التعلق بها ، وأن الشر كل الشر فى الخروج عليها ، وأتباع ما جد من البحوث والأفكار . ولعل فى الرجوع إلى هذه الرسائل وبعثها وتقدير ما يصلح منها للدراسه تشجيعاً لمن يريد البحث وحثا له على بذل كل فى وسعه لوضع ما يقدر عليه فيا برزقية فيكون فى هذا العمل تشجيع للتأليف والمؤلفين وتوسعة للبحث وإنهاض للباحثين فيتسع مجال التفكير ويكثر الإنتاج الأزهرى كما كثر الإنتاج الجامعى :

هذا قليل من كثير مما يتعلق بالبرامج العامة للدراسة وما يتعلق بالكتاب .

أما إصلاح الطالب فيكون بإصلاح نظم الامتحانات والرجوع بها إلى رفع درجة النجاح إلى ٦٠٪ وعدم السماح للطالب بدخول الدور الثانى إذا قصر فى أكثر من مادتين . وفى المادتين لا يسمح له بالإمتحان إذا لم يحصل على نصف النهاية الصغرى لكل مادة . وأخذه بالحزم والشدة فى جميع التشكيلات ويكون هذا بالعقوبات الرادعة النافذة .

وأما إصلاح المدرس ففى إصلاح البرامج ونظم الدراسة والكتاب ما يكفى لإصلاحه . وهناك ناحية كان لها شأنها فى العصور الخالية واستمرت إلى عهد قريب وهى الصلة العلمية بين الطالب وأستاذه حتى كان الطالب يفخر بأنه تلقى العلم على فلان . وكان لكل أستاذ من الصبغة العلمية والفكرية ما يظهر أثره فى مدرسته وتلاميذه . وخير شاهد على ذلك المدرسة القريبة العهد بنا وهى مدرسة الأستاذ جمال الدين الأفغانى وتلميذه الإمام الشيخ محمد عبده . ولقد امتازت مدرسة الشيخ محمد عبده بما امتاز به أستاذها من استقلال الفكر وتعمق البحث والتحرد من الجمود وعدم التقيد بالموروث . فإذا أمكننا أن نحيى هذه المدارس فأحياؤها لا يكون إلا على يد هيئة كبار العلماء بتكليف رجالها بإلقاء دروس للعلماء الناشئين ، ولا يقل ما يلقيه كل منهم عن درسين أو ثلاث فى الأسبوع يتخذ كل منهم مادة من المواد يدرسها دراسة توسع وبحث دون تقيد ببرامج أو خضوع لزمن ، ويكون له فى دراستها طابع خاص يمتاز به .

وفى هذا العمل من الفوائد مالا يخفى على من أدرك الأستاذ الإمام وساعده الحظ بالجلوس فى مجالسه والاستماع إلى دروسه .

ولا زالت الصلة العلمية بين الأستاذ وطلابه النابهين موجودة فى النظم الجامعية الغربية . وكانت هذه الصلة سبباً فى المحافظة على الطابع العلمى والجامعى وهذه بضاعتنا نبت زرعها وترعرع بين جدران الأزهر واستمر حقباً طويلة ثم تركها الأزهريون ففقدوا كثيراً من طابعهم الجامعى ! فهلا رجعنا إليها حتى نصل ما انقطع ونحيى ما درس .

ولا يكفى ما يقال من أن كل عضو من أعضاء الهيئة الموقرة يقدم بحثاً فى كل عام ، وأى أثر ظاهر لهذه البحوث ؟ وهل سمع بها أحد أو أطلع عليها أحد أو استفاد منها أحد ؟ وهل هذه البحوث أصلحت كتاباً أو هذبت مادة أو تعرضت لما يعن للعالم من شاكل اقتصادية أو اجتماعية أو كشفت ما غشاه من إلحاد أو هدته إلى الخروج من حيرته .

وهل يكفى أن يقال إن تراثنا التشريعى غنى بما حواه من أفكار القدامى وأبحاث السلف . وإذا كان غنياً فلم لم يتخذ منه الباحثون أداة للإصلاح التشريعى العام ؟ ولم لم يعملوا على عقد الصلة بين هذه الأبحاث وبين ما يعرض للناس من نظم مالية واقتصادية وصلات عمرانية واجتماعية وتطورات أخلاقية ؟

وهل يكفى أن نتغنى بأمجاد السلف ونأسف على أيامهم ، ونقف حيارى لا نهتدى إلى سبيل والعالم يتقدم ويجد فيه من الأحداث ما يقتضى تطور التشريع وتغير الحكم ؟ ونكتفى بأن نقول إن التشريع الإسلامى صالح لكل زمان ومكان . وأى صلاحية تبقى له إذا تركناه كما هو يسرد قضايا قد ذهب زمنها ويعدد أحكاماً قد ولى رجالها ونختلف فيما بيننا هل باب الاجتهاد مفتوح أم ذهب زمنه ورجاله ؟ لا ، لا يليق بمن يبغى البقاء أن يقف والعالم يتطور . ولو بقى على حالة أخشى أن يذهب به أعصار أو يتخلف عن الركب .

ولعلى بهذا أكون أديت بعض ما يجب على نحو الأزهر الذى أعتز بالانتساب إليه وحققت بعض دعوة الأستاذ دنيا . هدانا الله وإياه إلى معرفة طرق الإصلاح والأخذ بأسباب النجاح

محمد سيد أحمد الشال

مندوب الأزهر لتدريس العربية بكلية المقاصد الإسلامية ببيروت — لبنان

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

تمهيد :

لكل قبيلة أوجهة عادة لغوية تميزها عن غيرها وهى ما تعارف الناس الآن على تسميتها لهجة : تتحكم فيها عند نطقها بالألفاظ وأدائها للكلمات ويلحظها من استمع إلى المتكلمين بها فلا يكاد يخطىء فى إلحاق المتحدث بقبيلته أو جهته إذا أوتى شيئاً من الدراية بتلك اللهجات، وهذه العادة كانت تندرج قديماً تحت كلمة اللغة حيث أطلقوها فى الصدر الأول على عدة معان .

١ — على الخلاف بين القبائل فى إعراب الكلمات وبنائها وصيغها ؛ حكى على بن محمد النوفلى قال سمعت أبى يقول لأبى عمرو : خبرنى عما وضعت مما سميته عربية أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال لا . فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهو حجة ؟ قال أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات .

٢ — على تباين الألفاظ التى تترادف على معنى واحد . وذلك مثل ما يرد فى معاجم اللغة كقولها : الزمهرير القمر بلغة طيء ، والبينط النساج بلغة اليمن ، والليث اللسن البليغ بلغة هذيل .

٣ — على طريقة أداء الكلمات وإعطائها نغمة أو غنة تميزها عن غيرها من القبائل كالإمالة والتسهيل والتفخيم والترقيق . وذلك مثل ما يروى فى كتب اللغة والأدب من قولها : وليست الإمالة لغة جميع العرب ، وأهل الحجاز لا يميلون ، وأشدهم حرصاً عليها بنو تميم .

وفى الحديث عن صفوان بن سالم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ يحيى قيل له يا رسول الله تميل وليس هو لغة قريش؟ فقال هو لغة الأخوال بنى سعد .

ويروى أن أبا عمرو كان أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، وأن سيبويه أخذ النحو من الخليل ويونس وعيسى ابن عمر وغيرهم وأخذ اللغات عن أبى الخطاب الأخفش الكبير .

أما اللغة باصطلاحنا الحديث فقد كانت تسمى اللسان . والقرآن الكريم لم يستعمل غيرها عند إرادتها .

« وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » سورة إبراهيم .

« لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » سورة النحل .

« لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » سورة الشعراء .

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » . سورة الروم .

« وهذا كتاب مصدق لساناً عربيا » سورة الأحقاف .

وقد سمى ابن منظور كتابه « لسان العرب » وسميت المدرسة التى كان رأسها رفاعة بك الطهطاوى « مدرسة الألسن » .

هذا وقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أن يقرءوا القرآن بلهجات العرب .

وتلك الإباحة تفهم من الحديث الذى رواه صفوان بن سالم ويرشد إليها الحديث المرفوع « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها » .

وقد جاءت تلك الإباحة لأنها فى الواقع لا تؤثر فى المعنى ولا تخل بنظم الآية ، وهذا النطق من القبائل مترتب على عادتهم اللغوية وطريقة أدائهم للألفاظ ؛ فالقبيلة التى اعتادت ألسنتها على الإمالة يكون من العسير عليها أن تنطق بالفتح ، والقبيلة التى تسهل الهمزة يكون من الشاق عليها تكلف النبر .

فليس من الممكن إذن التضييق على القبائل العربية بحملها على نهج واحد وتسلك طريقاً بعينها مخالفة بذلك عادتها اللغوية أو لهجتها ؛ ودين الله يسر لا عسر ؛ إلا أن اللهجات المستكرهة التى فيها إبدال حرف مكان حرف أو زيادته كطمطمانية حمير وكشكشة أسد وعنعنة تميم واستنطاء هذيل وسعد بن بكر والأزد والأنصار وغير ذلك من مستكره اللهجات تعتبر القراءة بها شاذة من الناحية الشرعية حيث لا تصح بها الصلاة والعبادات؛ أما من الناحية اللغوية والأدبية فلا خلاف فى أنها منهل مورود لطلاب اللغة وآدابها .

ويرجع الخطر من الناحية الشرعية على اللهجات المستكرهة

إلى ما اشترطه أئمة الشريعة في القراءة الصحيحة من أنها يجب ألا تخرج عن كونها .

١ — صحيحة السند .

٢ — ووافقت العربية ولو بوجه .

٣ — ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا . فإذا جمعت هذه الشروط تعد واجبة القبول سواء كانت من القراء السبعة المشهورين أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين .

والذين انتهى إليهم من الصحابة سند القراء هم عمر وعثمان وعلى وعبد الله بن عباس والحسين بن على وعبد الله بن عياش المخزومى وعبد الله بن السائب المخزومى وهم قرشيون ، وعبد الله ابن مسعود من هذيل ، وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وهم من الأنصار ، وأبو موسى الأشعرى من الأشعرين وهى قبيلة يمنية ، وأبو هريرة من الأزد ، ثم صارت مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق مقراً لشيوخ القراءات في صدر الإسلام .

فبمكة عبد الله بن كثير من القراء السبعة ، ومحمد بن محيصن من الأربعة عشر ؛ وبالمدينة نافع من السبعة ، وأبو جعفر من العشرة ؛ وبالكوفة عاصم بن أبى النجود ، وحمزة ، والكسائى من السبعة ، وخلف من العشرة ، وسليمان الأعمش من الأربعة عشر وبالبصرة ، أبو عمرو من السبعة ، ويعقوب من العشرة ، والحسن البصرى واليزيدى من الأربعة عشر ؛ وبدمشق عبد الله بن عامر من السبعة .

وقد اشتهر غير هؤلاء جماعة بالأمصار الخمسة السابقة كحميد بن قيس بمكة ، وشيبة بن نصاح بالمدينة ، ويحيى بن وثاب بالكوفة ، وعبد الله بن أبى اسحق الحضرمى بالبصرة ، وعطية ابن قيس الكلابى بالشام . إلا أن رواية قراءاتهم كاملة لم تدون كما دونت قراءات الأربعة عشر ولا يعرف عنهم إلا ما تناثر في كتب التفسير والتراجم ؛ وما كان لهم من استاذية على بعض القراء المشهورين حيث اختاروا من قراءاتهم لأنفسهم ما وافق شروط الاختيار .

وأول من تتبع وجوه القراءات وتقصى الأنواع الشاذة فيها وبحث عن أسانيدها من صحيح ومصنوع هو هرون بن موسى القارى المتوفى سنة ١٧٠ هـ إلا أنه لم يؤلف باستقصائه كتاباً .

ثم جاء أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ فكان أول من استقصاها في كتاب ، ويقال إنه أحصى منها خمساً وعشرين قراءة مع السبع المشهورة .

أما أول من اختار السبعة المشهورين في عهدنا هذا فهو أبو بكر بن مجاهد وذلك في أواخر القرن الثالث الهجرى ومفتتح الرابع .

ولم يكن الكسائى معدوداً من السبعة قبل عهد المأمون ؛ وقد كان من الأئمة قبل ابن مجاهد من أخرج حمزة والكسائى من السبعة وأدخل بدلا منهما أبا جعفر ويعقوب ؛ فلما جاء الإمام الشاطبى اختار من اختارهم ابن مجاهد وألف منهم منظومته حرز الأمانى المسماة الشاطبية فاقتصر عليهم المتأخرون تبعاً له اختصاراً واختياراً .

وقديماً كانت ثقافة القراء واسعة فلم ينصب أحد نفسه للاقراء بعد استنباط النحو ما لم يكن عالماً بالعربية وأوجه الخلاف فيها ، كما أنهم لم يعدوا المرء عالماً بالعربية ما لم يكن ملماً بالكثير من القراءات .

وفى بدء الإسلام لم تكن هناك حاجة إلى علم القارىء بالنحو الذى لم تستوف أصوله بعد وإن كان له مع ذلك إلمام واسع بمأثور العرب في حين أن اللسان العربى صحيح والسليقة لم تفسدها العجمة .

فإذا سرنا مع الزمن وجدنا كل قارىء إماما في العربية بجانب إمامته في القراءات .

فهذا أبو عمرو بن العلاء كان حجة في كلام العرب ولغاتها وغريبها .

وهذا الكسائى جمع إلى إمامته في القراءة إمامة الكوفيين في النحو .

وهذا ابن مالك صاحب الألفية التى صارت مرجع كل عالم في النحو كان حجة في القراءات وإماماً . قدم الشام من الأندلس وسار شيخ الإقراء بالمدرسة العادلية بدمشق وألف قصيدة

دالية في القراءات السبع ؛ أما الإمام الشاطبي صاحب المنظومة المشهورة في القراءات فقد كان أعلم الناس بالعربية وعلومها (١) .

هذه نبذة مختصرة رأيت الإلمام بها قبل أن أعرض للقبائل ولهجاتها وأثرها في القراءات .

قبيلة تميم :

هي من أشهر القبائل التي كان للهجتها أثر في القراءات والعربية أقامت قديماً بتهامة ثم نزحت في أواسط القرن الثاني قبل الهجرة نحو العراق واستقرت في باديته وما يليها جنوباً آخذة جزءاً من نجد ، وتجاورها من ناحية الغرب قبائل أسد شمالا وقيس جنوباً ، وتجاورها من ناحية الجنوب بنو حنيفة من بكر بن وائل وعبد القيس من جديلة ، وتفصل بين بعض بطونها قبائل من بكر ابن وائل . وقد توزع كثير من التميميين في الفتوح الإسلامية وشملت البصرة والكوفة في مبدأ إنشائهما عدداً كبيراً منها .

ديانتها :

كانت الوثنية شاملة لجزيرة العرب قبل الإسلام ، وقد اتخذت القبائل بيوتاً للعبادة وأصناماً خاصة بها بجانب احترامها للكعبة والأصنام المشهورة اللات والعزى ومناة ، فما كانت تنفرد به تميم صنم اسمه تيم ولهذا قيل لتميم كلها في الجاهلية عبد تيم ؛ وكان لها بيت للعبادة اسمه « رضاء » ولها يقول المستوغر بن ربيعة حين هدمها في الإسلام .

ولقد شددت على رضاء شدة   فتركتها قفرا بقاع أسحما

وقد دخل جماعة من التميميين أيام الجاهلية في المجوسية لقربهم من العراق التابع للفرس . وعبد جماعة منهم نجما يسمى الدبران ، وأسلمت تميم في حياة الرسول ، فلما قبض إلى الرفيق الأعلى ادعت سجاح بنت الحارث فيهم النبوة فتبعوها ثم عادوا إلى الإسلام مرة أخرى وأسلمت متنبئتهم سجاح .

(١) العادلية مدرستان بدمشق : الكبرى أنشأها السلطان نور الدين ولم تتم ثم شرع في إتمامها السلطان العادل أحد أخوة السلطان صلاح الدين الأيوبي وتوفى ودفن بها ولما تتم وإليه تنسب ، ثم أكمل بناءها ولده المعظم سنة ٦١٨ وكان بها فرع للاقراء ممن تولى مشيخته أبو عبد الله محمد بن مالك صاحب الألفية . والعادلية الصغرى أنشأتها زهرة خاتون ابنة الملك العادل .

نسبها :

تميم قسمان : الصغرى وهم أبناء تيم (١) بن عبد مناة بن أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر ، ومنهم قطام صاحبة عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب التي اشترط في مهرها

ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب علي بالحسام المصمم

والكبرى وهي صاحبة الشهرة التي تراد عند الإطلاق وهي التي نمنيها بالبحث والمقصودة دائماً في جميع الكتب هم أبناء تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، ولها بطون وعشائر كثيرة أصبحت شبه مستقلة في منازعاتها ومفاخراتها بل وفي بعض لهجاتها .

عاداتها :

كان للعرب في الجاهلية عادات مختلفة شملتهم جميعاً ، منها وأد البنات وزجر الطير والاستقسام بالأزلام ، والمعقر على القبور ؛ غير أن أهل نجد ومنهم تميم قد يخالفون الحجازيين في بعض العادات كما يخالفونهم في اللهجات ، فالسانح من الطير والظباء وهو ما مر من مياسرك إلى ميامنك يتيمن به أهل نجد ويتشاءمون بالبارح وهو ما مر من ميامنك إلى مياسرك بعكس الحجازيين فيهما قال ذو الرمة وهو نجدي :

خليلي لا لاقيتما ما حييتما   من الطير إلا السانحات وأسعد

وقال النابغة متشائماً بالبارح وهو نجدي .

زعم البوارح أن رحلتنا غداً   وبذاك تنعاب الغراب الأسود

وقال كثير وهو حجازي ممن يتشاءم بالسانح .

أقول إذا ما الطير مرت مخيفة   سوانحها تجري ولا أستثيرها

هذا هو الأصل عندهم ؛ ثم قد يستعمل النجدي عادة الحجازي فمن ذلك قول عمرو بن قميئة وهو نجدي .

فبيني على طير سنيح نحوسه   وأشأم طير الزاجرين سنيحها

رجالاتها :

اشتهر من تميم كثير من الحكماء والزعماء والعلماء والشعراء

(١) كما في العقد الفريد وتاريخ ابن خلدون ؛ أما لسان العرب والقاموس والجمهرة ونسب عدنان وقحطان وسبائك الذهب والتأمل فاسمها تيم ولعله الأصوب وهناك تميم أخرى بطن من هذيل .

وغيرهم فى الجاهلية والإسلام منهم أوس بن حجر شاعر مضر فى الجاهلية ومن قوله :

أيتها النفس أجملى جزعاً إن الذى تحذرين قد وقعا

ومنها : الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

ومن قوله :

ولست بخابئ لغد طعاماً حذار غد، لكل غد طعام

ومنهم أكثم بن صيفى حكيم العرب فى الجاهلية، ومن حكمه : مصارع الرجال تحت بروق الطمع ، ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم ، ومقتل الرجل بين فكيه. ومنهم حاجب بن زرارة من مشاهير فصحاء زمانه وفد على كسرى وضمن قومه برهن قوسه عنده ،ولذلك قصة مشهورة. ومنهم الأقرع بن حابس وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مكة وحنينا والطائف . ومنهم الأحنف بن قيس سيد تميم البصرة وعروة بن جرير أول خارجى قال : لا حكم إلا لله يوم صفين ، والمنذر بن سارى صاحب هجر وقطرى بن الفجاءة الخارجى الأزرق ومن قوله :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لا تراعى

فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذى لك لن تطاعى

فصبراً فى مجال الموت صبراً فانيل الخلود بمستطاع

ومنهم عبدالله بن أباض رئيس الأباضية من الخوارج ، وعبدالله ابن صفار رئيس الصفرية وجرير والفرزدق الشاعران ورؤبة ابن العجاج الراجز والسليك بن سلكة من المدائين المشهورين ومية صاحبة ذى الرمة وسجاح المتنبئة .

أما علماؤها فمنهم زفر الفقيه الحنفى وأبو عمرو بن العلاء وسنفرد له ترجمة خاصة ، وأبو عثمان المازنى النحوى والنضر بن شميل النحوى ويحيى بن أكثم قاضى المأمون غلب عليه حتى لم يتقدمه أحد من الناس جميعاً ، ولى أول الأمر قضاء البصرة وهو صغير فاستصغره أهلها وقالوا كم سن القاضى ؟ فعلم أنه قد استصغر فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجه به النبى صلى الله عليه وسلم قاضياً على مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذى وجه به النبى صلى الله عليه وسلم قاضياً على اليمن .

(للبحث بقية)

عبد الستار أحمد فراج

محرر بالمجمع اللغوى

إعـــلان

عن مباراة مجمع فؤاد الأول للغة العربية لأدباء العرب فى وادى النيل وغيره سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية منح مائتى جنيه أحسن قصة بالعربية الفصحى مخطوطة أو مطبوعة . بشرط ألا يكون تاريخ المطبوع منها قبل يناير سنة ١٩٤٧ ، على ألا تقل القصة المقدمة عن مائتى صفحة من القطع المتوسط (الذى لا تقل كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة) .

ويشترط أن يكون مدار القصة حول أحد الموضوعات الآتية : —

١ — بحث مشكلة اجتماعية عربية من مشاكل العصر الحاضر .

٢ — حياة بطل من أبطال العرب

٣ — موقف من مواقف العرب الحاسمة فى التاريخ .

***

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجائزة أن يرسلوا إلى المجمع نسختين مطبوعتين أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة فى موعد لا يتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ وسيحتفظ المجمع بنسختى الانتاج الفائز .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عنوانهم واضحا ويوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن جازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقة المقدم إليها ، ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع .

***

وترسل الموضوعات بعنوان : لجنة الأدب — بمجمع فؤاد الأول للغة العربية — شارع قصر العينى ١١٠ — القاهرة .

نفـــــاق المخلص

للأســـتاذ ثروت أباظه

رجل أصابه الدهر بنكبات تصيب إحداها الشديد فتصرعه ، غير أنه كان أقوى من الشدة فثبت ، ومرت به الزعازع لم تصب منه مكسراً ، ولم تقصف له عوداً ، ولكن نفسه ضعفت دون أن يمر بها الخطب ولا يؤثر فيها .. فانعقدت بها العقدة ، وكره أن يرى السعادة ؛ فخصص حياته الباقية لحرب الخير ، ومناهضة الرفاهة ، وتدعيم الشر ، ومباركة الشقاء .

عرفته وهو يستقبل المصائب ، وكان إذ ذاك لا يفرح لفرح الناس ، ولكنه كان أيضاً لا يفرح لحزنهم . ثم شهدته والمصائب تمتوره من كل جانب حتى لم يعد فيه مكان لإصابة ، فصار إلى ما هو عليه .

ولنا صديق رأى سعادته وسعى إليها ، فسارع إليه الرجل ذو العقدة يثنيه عما يروم ، باذلا فى سبيل ذلك ما شاء من خسة وكذب . وكان الصديق يعرف فى الرجل عقدته وخسته ، ولكنه لم يفكر يوماً أن تصيبه هو هذه الخسة وهو الذى يبذل له الود الصادق والعطف الكريم .. وظل يحسن به الظن حتى انكشف له لؤمه وكذبه ، فرمى بقوله عرض الأفق ، وأتم ما كان مقدماً عليه ، وكفأ الرجل ذو العقدة على مرجله غطاء من ود ظاهر .

ظننت أن صديق سوف يشيح عنه بحبه وعطفه ، وأنا أعلم فيه صدقاً فى وده ، فلا يمنحه إلا صادراً عن قلبه . ولكن الصديق أخلف ظنى ، وراح يظهر للرجل مثل ما كان يظاهر ، حتى احتسبت الله فى صفائه ، واعتقدت أن الحياة علمته خداعاً كان يجهله ، ولكننى لم أطق أن أودع فيه خلالا حمدتها له زمناً قبل أن أسأله :

— أراك ما تزال تحبه ، وهو الذى فعل ما فعل . وأعرفك لا تبذل حبك من لسانك !

— إن ما فعل لايعرفه إلا أنا وهو وأنت . فإذا تغيرت عليه ظهر ما لا أحب إظهاره .

— وتنافق ! ؟

— وما ذا فى ذلك ! ؟

— كأنى أكلم شخصاً لا أعرفه . . . ألا تعرف ما ذا فى النفاق ؟ .. فيه أنه نفاق . خداع وكذب ، وإجراء نفسك على غير ما تحب ، وظهورك بغير ما تبطن .

— لعل دهشتى من كلامك أكبر من دهشتك . إن ما تقوله لفظ أنيق تخلى عنه منطقك الواقعى . . إن النفاق شر إذا هدف إلى الشر ، أما إذا حدت إليه عواطف الخير فهو خير هادف إلى خير .. أما اعتقادك أنى أجرى نفسى على غير طبيعتها ، فإنى مرتاح إلى ذلك ما دمت لا أحمل فى نفسى غضاضة الشر .

— وكيف أعرف نفاقك من إخلاصك ما دمت هكذا ؟. كيف يتسنى لى أن أميز بين ودك خالصاً وبين ودك مشوباً ؟

— ودعنى أسميه نفاقاً مهما يكن هادفاً إلى خير — كيف يمكننى ذلك ما دمت تقدم على الإخلاص وغيره بهذا السمت البرىء الذى عرفت به ؟

— إن مقياسك فى ذلك هو نفسك .. فإن كنت تضمر لى الشر وتبديه حتى أحسه منك ، ثم ترانى بعد هذا أقدم لك من الود ما عودتك فأنا معك منافق ، أبقى على احترام الناس لك ، وأخشى عليك قالتهم ، راجياً منك الخير بعد الشر ، والوفاء بعد الغدر .

— أو لا تعتقد أن الرجل شاعر بأنك تبدى له هذا الود عن غير إخلاص .. هل بلغ به الجحود حداً لا يعرف به أنه أساء إليك وأنت تحسن إليه ! ؟

— لا . . بل إن الرجل يعلم علم اليقين أن هذا الود الذى أبديه له أصبح وداً غير حقيق ، ويعلم أيضاً أننى أذكر له كل الشر الذى قدم .

— أو لا تعتقد أن صلتك إياه تؤلمه أكثر من قطيعتك له ؟

— ربما جال هذا بنفسه إن كان بها بقية من ضمير ، ولكنه من الذكاء بحيث يعلم أننى أفعل ما أفعل لأبقى عليه الستار الذى أسدله أمام الناس . . أما إذا كان ضميره قد انجلى عنه ، فهو مسرور بما أفعل ، مرتاح إليه ، مقبل عليه كما كان يقبل .

وهكذا لم أودع فى الصديق ما عرفت له من الخير ، بل استقبلت منه تمرساً بالحياة ، ومجاراة لها ، وتحويلا من شرها إلى خير ، ومن نفاقها إلى إخلاص . . إنه ينافق لا شك ، ولكنه نفاق المخلص .

ثروت أباظه

رحلات في ديار الشام في القرن الثامن عشر الهجري :

٤ - اردان حلة الاحسان

في الرحلة إلى جبل لبنان

لمصطفى البكري الصديق

(١٠٩٩ هـ - ١١٦٢ هـ - ١٦٨٧ م - ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

« تتمة »

إتمام البئر وانتشار الطاعون :

وبعد ما تم بناء البئر أردت أن أدخله في الحضير ، فشرعت في تقديم الستارة ، وابتدأنا يوم الاثنين في المهارة ، وكان أفرط عند الطاعون ، أحوج لاستعمال ما في الساعون ، وتعرض الأخ محمد سعيد ليلة الثلاثاء بوارد شديد ، وما زال الأمر يزيد إلى أن اصطفاه إليه ليلة السبت الحادية والعشرين من ذي الحجة شهيد ، وترجمته في كراسة وسميتها (العقد الفريد النضيد في ترجمة محمد سعيد) وحصل له مشهد فريد ، ودفن في مأمن الله .

سنة ١١٤٥ هـ

ولما دخل عام (١١٤٥ هـ) توجهنا والأحبة على عادتنا للزيارة [مقام علي بن عليل شمالي يافا] وأقمنا بعد ما قطعنا بلاداً مع السيارة وبتنا لدى المزار ليلتين ، ومنه أتينا بعد التنزه في المروج ذات الزهور ، مع الجموع قرية (كور) وكنا تخلصنا بامداد الشكور ، من الحمى ذات العبور ، إلى تجوم الجسد المنخور ، وعطفنا على (نابلس) المحروسة ، ولم ننزل إلا الدرويشة ، لاتساع مبرور ، وكان الحاج حمدان ، قصد جامع النصر المعمور ، والخلوة التي لديه وأذنا لولده الشيخ يوسف بالحضور ، وسرنا بعد إكرام تام ، وما زلنا بالبداءة والختم بالأوراد إلى أن وصلنا المنازل القدسة . وكنا قد أكدنا مع الأخ الحاج حسن مقلد أمر الحج ، ورجونا أنا بعقد جواهره نتقلد ؛ وفي أوائل رجب جاءنا رجل مغربي سمى نفسه محمد السابع ، وزعم أنه عائم في بحر المعارف سابح ، وحدثنا بعجائب من بنيات صدره ، ووعدنا مواعيد عرقوب صانها في قدره .

وحين اشتد العزم على السير نحو الحجاز ، وصله مودعاً إلى جيوض (السيلة) وفارقناه . وذكرت ما وقع في هذه الحضرة الكريمة في رحلة سميتها (الرحلة الإحسانية الحجازية الثانية) ولما عدنا إلى الديار المقدسة صحبنا الأخ الشيخ محمد المكتبي الحلبي وكان بعد ما توجهت من حلب للقدس أرسل كتاباً للفقير مطلعه :

ذاب من حر فؤادي جسدي وغدا فودي بياضاً مفعما

وبعد ما زار الأنبياء العظام والأولياء الأماجد ، أقام لدينا نفسه مسلماً مصاحباً منادماً متيماً وبالهاً في حبه هيماً ، وفي أثناء إقامته ، ورد أول كتاب من الأخ مصطفى اللقيمي مطلعه :

وأمنيت المسجد الأقصى والحرم

بعد انقضاء أداء النسك بالحرم

وقد ذكر فيه أنه أحرم ، ثم دخل من باب السلام ، وطاف بالكعبة سبعاً ، وأسرع إلى عرفات ، وبات بمزدلفة ، وأصبح في المنى ، ثم رمى بالجرة ، ثم قدم مكة وطاف طواف الإفاضة ، ثم سعى ، وحلق ، ومضى لقضاء عمرة ، وختمها بطواف ، وسعى ، وتوجه تلقاء مدين قرب جدة ، وعاد إلى المسجد الأقصى .

« ولما أقام الأخ الشيخ محمد المكتبي مدة أيام ، وتلقن بعض أسماء حضر من الشام صديقنا الشيخ عبد الرحمن النبهان ، ومكث قليل أيام وزار المشاهد ، وبعدها هم على الرحيل لوطن المقام وعزم على السير معه الأخ المكتبي فكتبت له أجازة بالإذن كما أرسل أجازة للأخ اللقيمي .

سنة ١١٤٦ هـ

ولما هل شهر رجب ١١٤٦ هـ ورد علينا الأخ الحاج ابراهيم بن حسن البكاني الحرستاني ، وحرستى بلدة سيدى محمد بن الحسن صاحب النبهان (الرباني) ومعه رفيق من أهالي (بيت سوا) يدعى عبد الغني ، وبعد أيام دخل الخلوة ، ثم تشفع برجوعه بابنتي علماً فقبلت شفاعتها فيه ، وأجزته لما مدة إقامته انتهت .

وفي أواسط شعبان طلب الأخ الشيخ عمر المنبوسي عمل

معراج نبوى مختصر مسمياً له (اليم الغدا المواج فى ذكر أحاديث الإسرا والمعراج) وشرعت فى تسويد شرح على المنفرجة المنسوبة لأبى عبد الله النحوى ، وكان ذلك عن طلب السيد على الحنفى ، وسميته (الفقه النضيد المشيد الحجة ، على القصيدة المسماة بالمنفرجة) وقابلته مع الشيخ محمد بن السيد عيسى الكردى ، وأرسلته مع الشيخ المذكور ، إذ مراده السير إلى تلك القصور .

وكنت بعد العود من الحج بأشهر وأيام أرسلت للأخ الشيخ محمد الحفناوى [فى مصر] أجازة وإذناً عاماً بالإرشاد . وقد وردنى فى أواخر ذى الحجة منه كتاب جواباً على كتابى والأجازة .

صدور خط سلطانى باصلاح قناة الماء للحرم القدسى :

وفى أوائل سنة ١١٤٦ هـ صدر خط سلطانى معرباً مضمونه بأن الوالدة أنابها الله فى الجنان ، انتدبت لعمارة ما يلزم القناة القدسية ، فعينت أحد أعيان الدولة ، ووجهت له ما يحتاج إليه فوفد بصوله والمذكور (قبله لى زاده) فتوفى قرب حصول ما أراده ، وكان حسن النية والإرادة ، ثم ورد مباشراً على آغا بن حمود ، وبعد تمام بعض نظام رجع لوطنه للزهو يقود ، وكتب أهل الولاية له محضراً بما جرى ، شاهدين فيه أن ماء الكأس لمحله جرى ، وحصل للناس فرج وفرح .

سنة (١١٤٧ هـ) وفاة الشيخ محمد الخليلى :

وكان ورد على كتاب من الأخ الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى فى عشرين محرم سنة (١١٤٧ هـ) مصدراً بقصيدة ثانية مطلعها :

عيون بنى الصديق بالصحو قدت
عيون أولى التصديق بالمحو فدت

وفى أواخر ربيع الأول أرسلت كتاباً للأخ الشيخ مصطفى العمرى مصدراً بقصيدة :

أيها المصطفى من الخلان كن بمولاك داعياً للمعانى

واجتمعت ليلة الحادية عشر من شهر ربيع الثانى (سنة ١١٤٧ هـ) بالشيخ يس الغزى الخلوتى ، وكان الأخ الشيخ إبراهيم الشهير بابن صفر أغا أخبر أنه كان منكراً عليه ما يظهر منه من مخالفات تنسب إليه حتى استبان له الأمر فانقاد وزاد منه فيه الحب والاعتقاد .

وفاة الشيخ محمد الخليلى :

وفى منتصف جمادى الثانى ليلة الخميس ، انتقل شيخنا العالم العامل المحدث الفقيه الشيخ محمد شمس الدين أبو الوفاء الخليلى (١) إلى المقام الأرفع ، فكانت ليلة ليلاء على أهل إيلياء ، كان رحمه الله جاور فى الجامع الأزهر ، ثم ورد إلى بيت المقدس ، فانتفع به أهلها ، وقد أخذت عنه الإجازة فى الحديث سنة ١١٢٢ هـ بسند عال ، ثم تأكدت المحبة بيننا وبينه لتكرر الخطرات القدسية ، ثم نمت وزادت سنة (١١٣١ هـ) لتأهل فى الديار القدسية ، وقد ذكرته فى النحلة النصرية فى الرحلة المصرية) وقد تكررت صحبته فى زيارة الخليل ، والكليم ، وقلت مرتجلا فى امتداحه :

أيها الذات فى حمى الذات قبلى فلقد لذ لى لديها مقيلى

وبعد وفاة الشيخ بثلاثة أيام اندرج بالوفاة إلى رحمة الله صديقنا الشيخ برهان الجعفرى الرفاعى الخليلى الأوطان ، وكان المذكور اجتمع علينا فى ثانى خطرة للزيارة الخليلية وأظهر المحبة كأخيه الشيخ أحمد السابق للمنازل الإحسانية ، وقد ظهرت لهما على ما أخبر به بعض أتباعه ، كرامات تعرف بمقامه .

وفى أواخر هذا الشهر ورد على كتاب من الأخ اللقيمى وفيه :

شوق إلى علينا جنابك طافح أخفيه وهو خفى سر فاضح

فأجبته بكتاب :

للعارفين خواتم وفواتح أنداؤها فى العالمين فوائح

وفى أوائل شهر رجب شرعت فى عمل مقامة مشيرة لفن الأدب سميتها « المدامة الشامية فى المقامة) أودعت فيها من القصائد الجامعة ، وشرعت فى أخرى (مغربية) وسميتها (النفاحة الغربية فى المقامة المغربية) .

ثم شرعت فى شرح قصيدة الإمام الحجة صاحب المنهاج .

الرحلة إلى الديار الرومية :

وفى ذى الحجة تحرك الخاطر إلى الديار الرومية ، وما زال

(١) هو صاحب الفتاوى الخليلية على المذهب الشافعى كبرى فى مجلدين وصغرى فى مجلد ، ترجمه حسن بن عبد اللطيف الحسينى فى كتابه « تراجم أهل القدس فى القرن الثانى عشر » وقد أخذ عنه المرادى . عمر جامع يافا الجديد ، واسترجع مقام النبى شمويل من اليهود ، وهو الجد الثامن لأم كاتب هذا المقال .

العزم يتقوى إلى أن دخل محرم ، فتوجهت إلى الشام لأجل أن يكون المسير مع ركب الحجاج ، وشرعت فى الرحلة الرومية الثانية وأسميتها (الحلة الغانية الدانية ، فى الرحلة الرومية الثانية) وعدنا منها ثانى يوم من شهر الصوم .

مرضه ابنته علما ووفاتها :

وعدت فوجدت بنتى المحمية لسرى وقلبى ، القربة إن شاء ربى ، متمرضة بأمر جرنى ، فقاد كلباً ذيله طويل ، وبعد أيام غابية لا قليلة ، أحبت مجاورة مولاها بنفس ذليلة . فحصل بفراقها ألم مؤلم ، وذلك فى الليلة التاسعة من شهر رمضان .

وترجمتها فى رسالة أسميتها : (الغيوب الملجمة ، والغيوث المسجمة ، فى ترجمة ابنتى المنفية قدراً سما ، الشريفة الصديقة العباسية علما) وقد كتبت على شاهدة قبرها مؤرخاً :

قصر الجنــان من يدى   جدى هنـــا تسلمـا
رضوان ربى داعـا   يهمى عليهـا كالسما

وما زالت المدامع بعد بعدها سخية إلى تمام ذلك العام

سنة ١١٤٩ ﻫ البدو يسلبون الشيخ التافلاتى :

وبعد دخول العام الجديد سنة ١١٤٩ ورد علينا الأخ الشيخ محمد التافلاتى ، وأخبر أنه جاءنا على طريق التيه وأخذ منه أعراب الطريق بعض أثواب ، وكتاباً من الصديق الشيخ محمد الحفناوى

وفى أوائل شهر ربيع شرعت فى تأليف مولد نبوى وسميته (المولد الدرى فى المولد النبوى) وقرأته ليلة المولد على الإخوان متبركا

وجاءنا فى هـذه الأثناء السيد على من بيت كريم الدين صاحب الجدود الفاخرة ، والحسب ، وكان مجيئه فى جمادى الأول بعد ما طلع لأرض الروم ، ونزل وتوجه من القاهرة ، بوجوه غير سافرة ، ووصل إلينا مفصول العرا ، كن قرا ولـكنه ما درى ، وكنت أرسلت للأخ الشيخ محمد الحفنى كتاباً محرضاً له على الحضور لنزل قدس وافر السرور ، فتيسر الأمر عليه وقدم والسعد بين يديه ، منتصف جمادى الثانى سنة ١١٤٩ مصحوباً بالتهانى . وأرسلت ولدى يستقبله فرحاً بقدومه ، واشتغلت بنظم أبيات ، أسمعتها له غب الإتمام فسر بها ، وكانت ساعة التلاق ميمونة . ومطلعها :

در كؤوسى من الرحيق الشهى   ثم ثنى من العتيق البهى . الخ

ولما استقر به المقام ، وحل الرحاب منه ، سار ذكره كالمثل السائر ، وكنت أكتب فى شرح الهمزية ، المسمى (باللمح الفريدة المزية ، فى شرح القصيدة (الهمزية) ، فصرت مهما كتبت أعرضه على أسماعه ، وقلت :

عروسة صون بدا عطفها   على صبها مذ هدا عطفها

وقابلت معه المعراج ، والمولد النبوى ، وشرعت فى أوائل شعبان فى مقامة يمنية ، وعرضتها عليه مقابلة فأحب أن ينسخها لنفسه ،وسميتها (الهامة اليمنية فى المقامة اليمنية) ، وألحقت بها (المقامة الموسومة بالحمامة الورقا القصرية فى المقامة المنقا المصرية) وأتبعتها (بالصمصامة الهندية فى المامة الهندية) وكنت وصفت (الكامة الترجسية السندسية ، فى المقامة الأنسية القدسية) .

الختام :

ولما دخل شوال تحرك المحب الرحال السيد موسى الكربمى إلى المسير ناحية (غزة) وطن الصبابة ، ونزل الأعزة ، فطلب الأخ الشيخ محمد التوجه صحبة المذكور ، إلى الوطن الأصلى المشهور ، فأردت إبقاءه إلى أن يقع لى الإذن بالذهاب ، ثم خشيت أن أطول عليه أدان الفراق ، والاغتراب ، لعدم ظهور وقت المسير ، إلى تلك الديار ، على أنى كنت وعدت الزائر بالعود لدياره صحبة الاهل والعيال وطول الإقامة فى جواره ، فرغب فى إنجاز الوعد ، فقلت لم يأت الإذن بعد ، وحصل التوجه أواخر شوال المطير بمياه الأشجان ، وخرجت معه للوداع إلى القرشى (١) والدجانى (٢) . ولم يقسم له نصيب فى زيارة الكريم والخليل ، فقرأنا لهم الفواتح ، وحرضت الأخ على إظهار خفى الطريقة فى الديار المزية والمصرية ذات الأطوار العبيقة ، وكان يوم الفراق لدغ حمة ولدغ إحراق . ولما رجعنا من وداعه بقينا أياماً فى توحش اجتماعه ، وما طال أمل الإذن بالتوجه إلى ذلك المنتزه النزيه وأقمنا نتدارك أمر السفر إلى أوائل صفر ، واتضح لنا

(١) أبو عبد الله الولى القرشى دفن فى مأمن الله   توفى ٥٩٩ ﻫ
(٢) القطب أحمد الدجانى جد العائلة الدجانية بالقدس ، وحارس مقام النبى داود ، توفى سنة ٩٦٣ ﻫ . ودفن فى مأمن الله ، وقبره قرب القدس ، وعلى كليهما قبة .

الإذن المشير بالمسير، وجاءتنا أحباب نصاح لنعدل عن الرواح، فاعتذرنا، ولما سهل الحق الأسباب، توجهنا غلس صبيحة يوم الاثنين الثالث من صفر المبارك إلى جهة فلسطين المسماة (بالرملة) البيضاء، ومنها القصد إلى (غزة) ذات اليد البيضا.

وفى التاريخ ختمنا (الأردان) بطابع ختامه مسك وهكذا كان، فإن التوجه والنية المقصودة الحج. وهاتيك المعالم المشهودة. وأن ممن ساعد وما قصر، لا كن فى ساعديه عنها قصر، إخواننا المنتمين للعصابة النجمية والخيرية وبعض أصحاب لم محبة فى الأمور الخيرية، وبدأنا من هذا الحين فى جمع رحلة سميتها: (الرحلة الثالثة للرياض المصرية والحجازية والشامية، ذات الإمدادات النصرية السامية الإنجازية) والحمد لله ...

أحمد سامح الخالدى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

على هامش مسابقات المجمع اللغوى:

١ — رأت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية إبعاد الشعر من المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠، وقصرتها على القصة والبحوث الأدبية، لأنها لا ترى فى الإنتاج الشعرى الحالى ما يستحق أن يجاز. ويبدو لى أن هذا الرأى يتصل بما حدث فى العام الماضى حين احتفل المجمع بإعلان نتيجة مسابقات سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ بدار الجمعية الجغرافية، إذ وقف الأستاذ المازنى عضو لجنة الأدب يقدم الفائزين فى الشعر فقال: إن الشعر كسائر الفنون لا يخلد فيه إلا الأعلون، وذاكرة الدنيا لا تعى غير الأفذاذ، والوسط كالردىء فى ميزانها. ثم قال: إن الدواوين التى تلقاها المجمع كلها من الشعر الوسط، وإنه آثر التشجيع وتسامح فأجاز أربعة دواوين منها.

وبين يدى اللجنة الآن بضعة دواوين مقدمة فى مسابقات العام الحالى (٤٨ — ١٩٤٩)، وهى «آخر دفعة» من الشعر فى مسابقات المجمع حتى يرد إلى الشعر اعتباره ...

ويرى المتأمل أن موقف المجمع من الشعر غير سليم، لأنه إما أن يكون قد حكم على جميع الإنتاج الشعرى، ما يعرف منه وما لا يعرف، وما يقدم إليه وما لا يقدم، وهذا غير ممكن ولا ميسور له؛ وإما أن حكمه نتيجة النظر فيما قدم إليه، وهنا يسأل سؤالين الأول: أليس من الجائز أن يقدم إليه فى مسابقة العام القادم التى أخلاها من الشعر إنتاج يستحق الإجازة، فلم إذن يقفل الباب؟

والسؤال الثانى يأتى بعد ذكر حقيقة ملموسة، وهى أن هناك شعراً جيداً كثيراً لا يقدمه أصحابه للمجمع، وبعد ذلك يسأل: لم ضعف الإقبال على مسابقات المجمع حتى صار لا يقدم إليه إلا هذا الذى لا يعجبه وهو مع هذا قليل؟!

أرجو مخلصاً أن ينظر المجمع فى هذا السؤال مليا ويعالج علة ذلك الإعراض، فالأمر يوشك أن ينتهى بالقصة والبحوث إلى مصير الشعر ...

٢ — واشترط المجمع فى مسابقة القصة لسنة (١٩٤٩ — ٥٠) أن تبحث مشكلة اجتماعية عربية من مشاكل العصر الحاضر، أو تعرض حياة بطل من أبطال العرب، أو موقفاً من مواقف العرب الحاسمة فى التاريخ. وهذا الاشتراط يوعز بتحويل العمل الفنى إلى دراسات اجتماعية أو تاريخية، وأنا لا أدرك الحكمة فى تحديد موضوعات القصة، أو ليس المطلوب قصة فنية ناضجة؟ وماذا يضير إن كانت ذات فكرة أو موضوع غير هذه الموضوعات ما دام المقصود هو التشجيع على الإنتاج الجيد؟

٣ — عمم المجمع مسابقة القصة فجعلها لجميع أدباء العرب، وهذا حسن؛ ولكنه خص مسابقة البحوث أدباء وادى النيل، فلم لا تكون المسابقات كلها لجميع العرب؟ قيل إن هناك «لائحة» تنص على أن يخص أدباء مصر ستمائة جنيه من الثمانمائة المخصصة للمسابقات الأدبية كل عام. وأقول: لم هذه «اللائحة»، أو لم لا تغير؟ وقد أمكن التوسع فى منح الستمائة الجنيه فأصبحت فى المسابقة الجديدة تشمل جميع أدباء وادى النيل. وكم أود أن يكون «مجرى الضاد» أوسع من مجرى النيل.

أساطين الإذاعة :

قام الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للاذاعة المصرية ، برحلته فى أوربا وزار محطات الإذاعة فى روما وباريس ولندن وقد عاد أخيراً من هذه « النزهة الإذاعية » ونشرت مجلة الإذاعة المصرية حديثاً له عن رحلته وما أفاد من جولاته فى دور الإذاعة الأوربية فكان من أهم المسائل التى تناولها الحديث بل أهمها مسألة الكفايات المطلوبة فيمن يشرفون على الإذاعة ، قال : « إن مسألة الآلات والبرامج وما إلى ذلك من الأمور التى تخطر على الذهن عادة ، إنما تأتى فى المرتبة الثانية من الأهمية ، بعد أن أدركت أن المسألة الرئيسية فى تنظيم الإذاعة هى اختيار الرجال الأكفاء للاشراف على أعمال الإذاعة المختلفة ، وتحملهم المسئولية الكاملة فى إدارة الأقسام أو الإدارات التى يعهد إليهم بها » .

وهكذا عرفنا أن « النزهة الإذاعية » لم تكن عبثاً ... فقد استفاد سعادته منها حقيقة مهمة فى مسألة الإذاعة الرئيسية .

وأعترف أنى يوم تساءلت عن فائدة هذه الزيارات وقلت إن البرامج يمكن سماعها فى مصر — كنت غافلا عن أن زيارة سعادته ستتيح له الوقوف على أن المسألة المهمة هى اختيار الأكفاء لإدارة الإذاعة . . ولا اعتبار لما قد يقوله المحرومون أمثال هذه النزهات من أنه يمكن معرفة ذلك فى مصر ، وهو شىء لازم لكل عمل لا للاذاعة فحسب ، لا اعتبار لذلك لأن الحقائق المتعوب فى الحصول عليها وجلبها من وراء البحار غير التى نصل إليها هينة بالبداهة فى مصر !!

ثم لندع هذا وندخل فى صميم المسألة الرئيسية فى الإذاعة ، وهى اختيار الأكفاء ، فيفهم من كلام المدير أن إذاعتنا ينقصها الأكفاء ، وهو مهتم بسد هذا النقص تطبيقاً لما استفاده من الرحلة . . وإن أريد إلا مصلحة إذاعتنا التى نرجوها لخير البلاد .

يشرف على تنظيم الإذاعة ثلاثة ، هم المدير العام ، والمراقب العام ، والمراقب المساعد ؛ أما المدير العام فهو من رجال التعليم قضى دهراً فى وظائف التدريس ومناصب التربية عرف فى خلاله بالخلق والكفاية ، ولم تعرف له مشاركة ولا إنتاج فى الأدب والفنون ولا ملابسة لشىء مما يتصل بالاذاعة التى تولى إدارتها أخيراً .

وأما المراقب العام فهو ذو ثقافة تجارية متوسطة ، نشأ فى محطة الاذاعة موظفاً كتابياً صغيراً ، وقد وصل مرتبه أخيراً إلى حوالى سبعين جنيها . وكان يحاول أحياناً أن يعزز مكانه ببعض نشاط إذاعى لم يوفق فيه بمقدار ما وفق فى التقرب من الرؤساء .

وأما المراقب المساعد فهو من اخواننا الشعراء ، يقول الشعر على نحو يسرح به مع عرائس الخيال ويبعده عن التمرس بفنون الاذاعة وأدواتها ، ويشكو الأدباء المتصلون بالاذاعة من بعض تصرفاته .

أولئك هم أساطين الاذاعة المصرية الذين يشرفون على تنظيمها ويوجهون دفتها ، وأنا لا أغمط أقدارهم ، وإنما أقول — بعد أن بينت من صفاتهم — إنه حين ينظر فى « المسألة الرئيسية » للاذاعة يجب أن يشملهم النظر . . فلا ينبغى أن تظل الاذاعة فى مصر محرومة من كفايات أبنائها متخلفة عن نواحى النهوض فيها ؛ وهذه وسائل الاتصال الثقافى والفنى بالجمهور فى مصر قد ارتقت وتقدمت تقدماً كبيراً جذب اليها أنظار الشقيقات العربيات ، وأصبحت فيها مثلا تحتذى ؛ وذلك على عكس الاذاعة فان الاذاعات العربية الأخرى أرشد من اذاعتنا ، وما أحوجنا إلى احتذائها فى كثير .

ومما يدعو إلى الأسف أن الاذاعة المصرية على تلك الحال ومصر تزخر بالعناصر والجهود الفكرية والفنية التى لم يتح للاذاعة إلى الآن أن تستفيد منها ، لا فى تنظيم الادارة ولا فى استغلال المواهب . ومما يضاعف الأسف أن ذلك واقع مع أهمية الاذاعة وبعد أثرها ، باعتبارها أوسع أدوات التثقيف والامتاع الفنى انتشاراً ، وأقدرها على التنويع فى تقديم الانتاج ، وأيسرها منالا للجمهور .

شاعر ويثأر من الحساد :

قال الدكتور ابراهيم ناجى (فى مجلة الاستوديو) يمدح المطربة شهر زاد :

شهر زاد ويا ضياء الأهلة   زهرة أنت من خميلة مطله
ليلة أنت من جمال وحسن   قرأتها القلوب فى ألف ليله

وقال سبعة أبيات فى سامية جمال ، ثم قال يمدح سهام رفقى :

إذا غفرت لشعرى   فقلبى واستعيدى

ترن فيـه « سهامـا » فإن أردت فزيدى
ممـا يصيب ويدمى الـ ـقلوب قبـل الجـلود

وقد نفست عليه — والحق يقال — لانفراده بالثلاث الحسان . . قرأت الشعر فوجدت فيه بعض الهنات ، فرأيت فى التعقيب عليه نوعا من المشاركة قد يغنى . . وكنت أتجاوز عن هذه الهنات لولا خطر القول فيهن .

فى بيتى « شهر زاد » عيب من عيوب القافية وهو نوع من السناد فى أحد البيتين حرف ردف وهو الياء خلا منه الآخر . والشطر الثانى من البيت الأول غير مستقيم الوزن .

وفى أبيات « سهام رفق » يستزيدها من السهام ، ويحدد النوع الذى يريده منه بأنه الذى يدمى القلوب « قبل الجلود » والمتأمل يرى هذا النوع من السهام لا وجود له ، أعنى التى تدمى القلوب ثم تدمى الجلود ، وهو بطبيعة الحال يريد سهاماً تدمى القلب فقط . وأقول — على طريقـة أسلافنا من النقاد — إنه لو قال « دون » بدل « قبل » لاستقام وسلم .

ومعذرة إلى الدكتور ناجى إذ وقفت منه موقف « العذول »

مؤتمر اليونسكو :

تنعقد الدورة الثالثة لمؤتمر اليونسكو ببيروت فى ١٧ نوفبر الحالى . ويمكن الجزم الآن بأن دولة إسرائيل المزعومة لن تشترك فى هذا المؤتمر، وذلك بفضل الموقف الحازم الذى وقفته الحكومة اللبنانية ، فقد أبدت تشددها فى ذلك وأنها لن تسمح لممثلى اليهود بدخول لبنان . فوقفت بذلك هيئة اليونسكو أمام الأمر الواقع، إذ كانت قررت نهائياً عقد المؤتمر ببيروت، ولاسبيل لليهود إلى بيروت

وسيجتمع مندوبو البلاد العربية فى بيروت قبل انعقاد المؤتمر لتوحيد الخطة العربية وبحث بعض المسـائل كانتخاب أعضاء المجلس التنفيذى للهيئة والاتفاق على العضو العربى فيه بعد انتهاء مدة الأستاذ محمد شفيق غربال بك فى هذا المجلس ، فإما أن يجدد انتخابه أو يرشح بدله عضو عربى آخر .

وستشغل مصر جانباً كبيراً فى المتاحف والمعارض التى ستقام فى شهر اليونسكو ببيروت ، فقد أعدت وزارة المعارف كثيراً من الأعمال المدرسية الفنية ، وبعثت دار الكتب المصرية بمجموعة وافية من المطبوعات والمخطوطات والمنقوشات ، وكذلك أرسلت بعض دور النشر فى مصر مجموعات من الكتب التى أخرجتها ، وستحتل الصحف والمجلات المصرية من معرض الصحافة جانباً هاماً

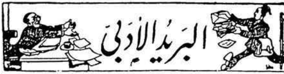
أما إقامة الحفلات الساهرة ، فقد اتفق بشأنه على أن تقوم لبنان بحفلات الغناء والرقص ، وأن توفد مصر الفرقة المصرية للتمثيل لتحيى ثلاث ليال من ٢٢ — ٢٤ نوفبر ، تمثل فى إحداها مسرحية حواء الخالدة لتيمور ، وفى الليلة الثانية انتقام المهراجا ، وفى الثالثة ثلاثة فصول من مسرحيات عالمية مثلتها الفرقة قبل ذلك

ويتألف وفد مصر فى المؤتمر من الأستاذ محمد شفيق غربال بك رئيساً ، والدكتور أحمد زكى بك ، وأحمد عبد السلام الكردانى بك ، ومصطفى عامر بك ، والدكتور محمد عوض محمد بك أعضاء أصليين ، وستة أعضاء احتياطيين ، وخمسة خبراء وثلاثة سكرتيرين .

وقد جاء فى الأنباء الواردة من بيروت أن الحكومة اللبنانية شيدت مدينة ثقافية لتكون مقراً لاجتماعات اليونسكو ، على مقربة من العاصمة تطل على البحر وتشرف على المدينة ، وقد بذلت فى إنشائها وتجميلها جهود فنية كبيرة ، وأعدت فيها وسائل الراحة وما تتطلبه الاجتماعات من أدوات وأجهزة ، ومكاتب للصحافة ، وقاعات للمعارض ، ومحطة للاذاعة ، وغير ذلك .

وقد أصدرت هيئة اليونسكو فى بيروت العدد الأول من نشرة « رسالة اليونسكو » باللغة العربية لمناسبة انعقاد المؤتمر فى إحدى البلاد العربية ، وقد نشر فى هذا العدد مقالات لكبار كتاب الشرق والغرب كالدكتور شارل مالك ، والدكتور طه حسين ، والمستشرق لويس ماسينيون ، وفيه مقال للسيد حميد فرنجية وزير التربية والخارجية اللبنانية ، ومقال للمستر جوليان هكسلى المدير العام لليونسكو

وقالت أنباء بيروت إنه تقرر دعوة الأدباء العالميين مع الوفود الدولية لحضور المؤتمر ، على أن يحلوا ضيوفاً على الحكومة اللبنانية ، وكذلك رؤساء تحرير الصحف العالمية الكبرى . ولم يذكر هل تشمل هذه الدعوة أدباء العرب ورؤساء تحرير الصحف العربية أولا ؟ ولا شك أن اجتماع كبار الكتاب والصحفيين العرب بأمثالهم من الغرب فرصة طيبة للتعارف وتبادل الأفكار ، مما هو بسبيل تحقيق أهداف اليونسكو فى التقارب والتعاون الفكرى العالمى .



١ – إلى الأستاذ الفاضل نقولا الحداد :

تحيتي إليك وسلامي؛ وبعد فإن العروبة قاطبة لتعتز بقلمك الذي حملته وشهرته في وجه الصهاينة الباغين. ولقد كان دفاعك عن فلسطين دفاع العربي الأبي الذي يأبى الضيم والذل ويذود عن وطنه العربي.

لقد دافعت يا سيدي فأحسنت الدفاع وسللت الحسام من غمده وشحذته. وما حسام الكاتب إلا قلمه وبيانه إذا ما ادلهم الخطب ونزلت الفادحة. ولقد كنت للعروبة لساناً وللحق مؤيداً ونصيراً، وكنت وما زلت بل وما تُزال وهذا عهدي بك للحق على الظلم معيناً. ولقد صدق أستاذنا الكبير عباس محمود العقاد حينما رأى دفاعك عن العروبة وحملتك الشعواء على الصهاينة، وقد وقفت في الميدان وحيداً ترتدي جلد النمر وتكشر للباغين عن أنياب الليث وتكيل لهم الضربات وترد على الادعاءات... وكان العقاد وهو يعلم جد العلم أن أدلة الصهاينة لا تستند على أساس، وأن حججهم واهية، وأن قضية العروبة مكسوبة، فأشفق عليك ونصحك بأن ترفع مطرقة من مطارقك إلى حين حتى تكون قد صنعت بهم كما صنع الحداد. وقد كان.

فوالله أنت للعروبة سند وللحق داع. وما أنت يا سيدي إلا عربي شهم كريم، وتقبل مني شكراً مضاعفاً على ما بذلت وتبذل لخدمة قضية العروبة من جهد.

٢ – الهدنة في الإسلام :

كتب الأستاذ الفاضل محمد أسامة عليبة في العدد ٧٣٨ من الرسالة الغراء كلمة عن الهدنة ووقف القتال فلم يتعرض للهدنة في التاريخ الإسلامي حتى بكلمة واحدة بل أفاض في الهدنة من الناحية القانونية الدولية. والحقيقة والتاريخ أقول « ليست الهدنة بجديدة على التاريخ الإسلامي فلقد أطال أبو العباس أحمد القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا الكلام عنها وذلك في الجزء الرابع عشر من الصفحة الأولى إلى ص ٧٨ أي في قرابة ثمانين صفحة من الحجم الكبير، فذكر منشأها وتكلم عن أول هدنة في الإسلام وكانت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وذكر كذلك أقوال الفقهاء فيما يتعلق بشروط الهدنة في الإسلام، ثم تكلم في الشروط التي تستقيم بها الهدنة وذكر عدة من الكتب التي تبودلت بين ملوك الإسلام وملوك النصارى ورؤسائهم ولا سيما طائفة الاستبدادية وهي طائفة من الفرسان. ومن هذه الكتب العديدة التي ورت في الكتاب تستطيع أن تقول « أن الهدنة في التاريخ الإسلامي كانت لمصلحة المسلمين

أمر غير لائق

نقل المذياع احتفاء « رابطة القراء » بعيد الهجرة من المسجد الحسيني، وهذا عمل صالح باعتبار المقصود منه وهو إذاعة ما يرتل من القرآن الكريم، وما يترنم به من الموشحات الدينية بذلك الحفل في تلك الليلة المباركة، ليتسنى استماعه للجميع.

ولكنا نسمع قارىء القرآن يقرأ فما يكاد يقف حتى ترتفع الأصوات وتتعالى الصيحات بمثل: « اللهْ يا شيخ عمر » و « صلى على جمال النبي » و « الله يفتح عليك ويزيدك » وما إلى ذلك من العبارات والكلمات.

وندرك من سياق القراءة وطريقتها وصيحات أولئك الصائحين، أنهم ليسوا مأخوذين بمعاني الآيات وأغراضها، وإنما هم مأخوذون بالتطريب أو يقصدون « التلحين » فيثنون على القارىء ويدعون له..

ونتيجة ذلك هذا المظهر غير اللائق بقراءة القرآن خاصة وكرامة الدين عامة، من حيث التصايح المنكر والتخليط الذي يدل على جهل فاضح. والناس يستنكرون مثل ذلك في محافل الغناء، فما بالك بمجالس القرآن؟

وانظر أي « صورة سمعية » للمسلمين في مصر تنقلها الإذاعة بذلك إلى حيث يتراءى صوتها في أرجاء العالم...

عباس خضر

وكان المسلمون يخرجون دائماً منها فائزين دون خسارة ولم يلحقهم بمقدها حيف أو ظلم وكانت تنفذ شروطها بدقة وعناية . وهانحن اليوم وفي القرن العشرين نشاهد مهزلة الهدنة وإهمال مراقبي هيئة الأمم المتحدة وتحيزهم الظاهر ضد العرب . نعم إن في التاريخ لعبرة ولعل التاريخ يعيد نفسه يوم ما ! وإن مآل الظلم والاعتداء لن يطول .

شفيق أحمد عبد القادر
كلية الآداب — قسم التاريخ

مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية :

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائز لتشجيع الإنتاج الأدبي سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ على النحو الآتي : —

أولا — لأدباء وادي النيل

تخصص مائتا جنيه لكل بحث من البحوث الآتية بشرط ألا يقل البحث عن مائتي صفحة من القطع المتوسط (الذي لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة) : —

١ — أحسن تحقيق لكتاب عربي أدبي قديم وضع على أساليب النشر الحديث سواء الطبع أم لا يطبع ، على ألا يكون تاريخ المطبوع هقه سابقا ليناير سنة ١٩٤٥ .

٢ — أحسن دراسة لرفاعة بك الطهطاوي أو أحمد فارس الشدياق أو محمد قدري باشا وأثر كل منهم في وضع المصطلحات الأدبية أو القانونية .

٣ — أحسن بحث في نقد الشعر العربي في الفترة التي تبدأ من النصف الثاني للقرن التاسع عشر إلى اليوم (ولا ينقد شعر الأحياء) .

ثانيا — لأدباء العرب في وادي النيل وغيره

تخصص مائتا جنيه لأحسن قصة بالعربية الفصحى مخطوطة أو مطبوعة . بشرط ألا يكون تاريخ المطبوع منها قبل يناير سنة ١٩٤٧ ، على ألا تقل القصة المقدمة عن مائتي صفحة من القطع المتوسط (الذي لا تقل كلمات الصفحة عن ١٨٠ كلمة) .

ويشترط أن يكون مدار القصة حول أحد الموضوعات الآتية :

١ — بحث مشكلة اجتماعية عربية من مشاكل العصر الحاضر .

٢ — حياة بطل من أبطال العرب .

٣ — موقف من مواقف العرب الحاسمة في التاريخ .

وعلى الراغبين في الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع نسختين مطبوعتين أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة في موعد لا يتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ وسيحتفظ المجمع بنسختي الانتاج الفائز .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عنوانهم واضحاً ويوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على انتاج له في فرع المسابقة المتقدم اليها ، ولا أن يعاد تقديم أي انتاج أدبي سبق أن قدم للمجمع .

وترسل الموضوعات بعنوان : « لجنة الأدب — بمجمع فؤاد للغة العربية — شارع قصر العيني — القاهرة » .

الى الأستاذ المعداوي :

ماذا يضيك عن أرسل إن كان لا يضيرك ما أرسل ؟ واجه الحقائق ، وثق بأنه (لا يهوش) وثق أيضاً بأنه يشتغل في شركة موجود بها — والحمد لله — آلة كاتبة وكتبة و ... إلخ ! ولك العذر إن كنت تريد أن تجعل من الحبة قبة ! ومرة أخرى : واجه الحقائق !

عبد الحميد فاضل
ليسانيه في القانون من ست سنوات

تعقيب :

في العدد (٢٧٤) من جريدة (الزمان) كتب الأستاذ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد — المفتش بالأزهر — كلمة حول بيت عنترة :

فيه اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم

فقال عن الخزانة « يروى بنصب (سود) ، صفة لحلوبة » .

وأقول : لو صح نقل الأستاذ وكان السواد صفة للحلوبة المفردة — لفظاً ومعنى — لكان الصواب أن يقال (سوداء) وصفاً للمفردة وليس (سودا) وصفا للجمع . ومن ثم لا يكون (سود) — في البيت — صفة للحلوبة ، وإنما هو صفة للجمع على المعنى ، وهو اثنتان وأربعون ؟ لأن التمييز المفرد إذا وصف جاز أن يؤتى بالوصف جمعاً تبعاً للمعنى المتضمن عليه الكلام والسلام .

(الزيتون) عدنان



الأشـــارة!..

للكاتب الفرنسي جي دي موبسان

كان المضجع الوثير، الناعم، يضم مـدام مارجيونسي دي ربندون في كثير من الوله والحب!.. وكانت المطلقة الحسناء: قد فتحت عينيها على صخب وضجيج ينتهيان إليها في غرفة الاستقبال، فأصغت بقليل في الانتباه، فإذا هي تميز صوت صديقها البارونة الصغيرة دي جرانجيريه مشتبكاً في نقاش حاد مع الخادمة، تلك تريد مقابلة صديقتها لأمر خطير، هام، وهذه تأبي عليها مقابلة سيدتها، وإزعاجها في مثل هذه الساعة المبكرة!.. وعندئذ تسللت من فراشها، وأخرجت رأسها اللطيف، المكلل بثروة من الذهب الخالص، وهتفت متسائلة:

— مابك يا عزيزتي ... لم قدمت في مثل هذه الساعة المبكرة؟ إنها لم تبلغ التاسعة بعد؟!

وأجابت البارونة الصـغيرة الشاحبة الوجه الذابلة العينين من الانفعال، المرتجفة غضباً وانزعاجاً:

— أريد أن أحدثك يا عزيزتي عن مسألة خطيرة ... لقد وقع لي ما لا يتصوره العقل!

— تعالي يا عزيزتي ... تعالي.

ودخلت البارونة الخـدع وراء صديقتها .. وتبادلتا العناق والقبـل. وعادت مارجيونسي إلى مضجعها الوثير. بينما كانت الخـادمة تزيح السجف الثقيلة عن النوافذ، ليتجدد في الغرفة الهواء، ويدخل إليهـا النور ... ولما انصرفت الخادمة، قالت مدام رليندون: والآن يا عزيزتي ... هات ما عندك من حديث!

وانفجرت مدام جرانجيرية باكية.. وانهمرت من مآقيها الدموع .. هذه الدموع التي لو ترقرقت في عيون المرأة لزادتها فتنة على فتنة، وحسناً على حسن!... ولم تمد منديلها إلى عينيها لتجفف دموعها، خوفاً عليهما من الاحمرار... وقالت:

— إن ما حدث لي يا عزيزتي فظيع ... فظيع، لم تغمض له عيناي طول الليل ... حتى ولا دقيقة. أتسمعين؟.. ولا دقيقة

آه .. ضعي يدك هنا على قلبي. رباه! إنه يخفق ويضطرب!

وأخذت يد صديقتها، ووضعتها على موضع القلب من صدرها هذا الصدر الجميل، الذي يفتن ويغري ... ولكن قلبها الآن، كان حقاً شديد الأضطراب والخفقان. ثم قالت

— حدث ذلك نهار الأمس ... كانت الساعة الرابعة ... أو النصف بعد الرابعة، لا أتذكر تماماً. أنت تعرفين منزلي، وتعرفين غرفة الاستقبال منه، حيث تعودت أن أجلس، وأتفرج بمراقبة الناس. وهم يروحون ويجيئون في شارع لازار. وبالأمس كنت أجلس في الفراندة على كرسي منخفض، وكانت النافذة مفتوحة، وأنا خالية البال من كل ما يشغل البال، ويبلبل الخاطر، أوه ... لعلك تذكرين كم كان جو الأمس لطيفاً، والمناخ معتدلاً.

وفجأة، رأيت امرأة ترتكز على مرفقيها، في نافذة البيت المقابل ... وكانت ترتدي المايوه ... لباس البحر الجذاب.

لم يسبق لي أن رأيت هـذه المرأة ذات الثوب الأحمر الخليع. ولـكنني عرفتها جيداً لأول نظرة. كانت امرأة من ذلك الصنف الذي يتجر بنفسه!!

ووجدت نفسي أتابع حركاتها. كانت تنظر إلى الرجال، والرجال يبادلونها النظرات، وكانت تدعوهم إليها: ألا تشرفنا يا سنيور؟

فكان بعضهم يرد عليها: متأسف ... الوقت ضيق!

— في فرصة أخرى.

— لا ... ليس الآن.

وكان بعضهم يردعها، ويعنفها: اخسإي ... حقيرة!

لو تستطيعين يا عزيزتي، أن تتصوري، كم كان عملها هذا مثيراً للضحك! وفجأة رأيتها تغلق النافذة... لقد وقع في صنارتها واحد من المغفلين!.. ووجدت لذة كبيرة في مراقبة هذه المرأة الوضيعة، وهي تقوم بعملها العجيب! وأحسست رغبة ملحة تدفعني لتقليدها... أتكون هذه الحمقاء، أقدر مني على اجتذاب الرجال؟.. هيهات!!

وقلدت حركاتها، وغمزاتها، وإذا أنا أؤديها أحسن منها بكثير... وعندئذ اتخذت مكاني من النافذة.

وانتصرت عليها ... وجذبت نحوي كل الرجال من كل صنف، بعضهم أجمل من زوجي .. بل أجمل من زوجك... أقصد آخر أزواجك ... إيه يا عزيزتي ... نحن النساء لنا بعض عقول القردة المقلدة ... هكذا قال لي أحد العارفين بالنفس ... ألا نحب

تقليد بعضنا بعضاً ؟!

قلت لنفسي : لأجرب مرة واحدة ... لمجرد التغيير ... ترى، ما الذي سيحدث لي ؟ ... لا شيء على كل حال ... وسأنساها !

وبحثت عن رجل .. رجل جميل ... أجمل من كل الرجال . وفجأة رأيت النموذج الكامل للرجل الذي أردته .

رشقته بنظرة ساحرة ، وابتسمت له بطريقة خاصة ، ففهم إشارتي ، وإذا هو يتجه نحو الباب الكبير !!

وجننت .. وتملكني خوف شديد ، فإذا هو يتحدث مع الخادم يوسف .. يوسف المخلص لزوجي ، فسيظن أنني على صلة بهذا الرجل من قبل ! .. ماذا أستطيع أن أفعل يا عزيزتي ... ماذا أفعل إذا طرق الباب ؟

فكرت في أن أقابله بنفسي ، وأخبره بأنه مخطيء ، وأرجوه أن ينصرف ... لعله يعطف على امرأة ... ضعيفة ، مسكينة :

وذهبت إليه أقول :

— انصرف بربك يا سنيور ... انصرف من هنا ... أنت مخطيء يا سنيور ... أشفق عليّ يا سيدي !

وبدلاً من أن ينصرف ، ضحك مني ساخراً ، وقال :

— صباح الخير يا آنسة .. لم كل هذا الدلال ؟ . فلست أجهل قصصكن ... ستقولين إنك زوجة لرجل غيور وإنك مني في خطر شديد ، وستطلبين أربعين فرنكا بدلا من عشرين ... ولكن لا بأس ... سأدفعها لك ، إذا أفسحت لي الطريق .

ولكنه لم ينتظر جوابي ... بل دفعني إلى غرفة الاستقبال ، وظل يتفحصها في دهشة ، وقال :

— ما أجمل هذه الغرفة ... لاشك أنك موفقة في عملك ، وتكسبين كثيراً ، وتوسلت إليه .

— أرجو يا سنيور ، تفضل بالانصراف . أن زوجي سيكون هنا بعد دقائق ... أقسم لك أنك مخطيء .

فأجابني في برود شديد :

زوجك ؟! .. سأمنحه خمسة فرنكات ، يشرب بها كأساً من النبيذ في الحانة المقابلة .

ثم وقعت عيناه على صورة زوجي راؤول ، فقال :

— أهذا هو زوجك ؟

— نعم

— أوه . . رجل لا بأس به ، ومن هذه ؟ . واحدة من صديقاتك ! وكانت هذه صورتك — نعم .. واحدة من صديقاتي !

— جميلة . . لعلك تقدمينها إليّ

— في فرصة أخرى .

وعندئذ دقت الساعة خمس دقات ... لقد حان موعد قدوم زوجي إلى البيت ... رباه ... ماذا يحدث لو جاء راؤول ورأى عندي هذا الرجل ؟

وفكرت في أن أحسن طريق للتخلص من هذا أن .. أن أرضيه بأسرع وقت ، وأصرفه عني . هل فهمت ما أعني ياعزيزتي هل فهمت ماذا حدث ؟!!

وضحكت مدام ريندون ... واهتز السرير تحتها لشدة ضحكها ، ثم قالت والدموع تترقرق في مآقيها :

— ولكن .. أكان منظره جذاباً حقاً ؟

— كان رائعاً ... في غاية الروعة .

— من حسن حظك ... ولكن ، إذا كان رائعاً كما تقولين، فماذا جئت تشتكين ؟ !

— لأنه ... لأنه سيعود ثانية ، في نفس الوقت وأنا شديدة الخوف ، فماذا أفعل لو نفذ وعده ، وجاء مرة أخرى ؟ !!

واعتدلت مدام ريندون الجميلة في مضجعها ، وقالت لصديقتها:

— دعيه يعود

فتملكت المسكينة دهشة عظيمة ، وتساءلت :

— ماذا ؟ ماذا تقولين ؟.. كيف أدعه يعود ؟

— هذا شيء بسيط ... اذهبي إلى مدير البوليس ، وأخبريه بما حدث ، وقولي له أن هذا الرجل يضايقك منذ مدة طويلة ، وعندئذ سيبعث إليه ببعض رجاله ، ويقبضون عليه متلبساً بالجريمة !

— ولكن يا عزيزتي ... ربما اعترف .

— من يصدقه ... أنت سيدة معروفة في البلد .

لا ... لا أستطيع .

— أن لم تخبري البوليس ... فسيعود إليك كل يوم !

— طيب ... والفرنكات التي تركها لي ؟.. ماذا أصنع بها ؟

وبعد أن فكرت مدام ريندون قليلاً ، قالت ضاحكة :

— عزيزتي . . يجب أن تخلدي هذه الحادثة في هدية صغيرة لزوجك العزيز راؤول .. نعم ، هذه أحسن فكرة !!!

(البصرة : عراق) **يوسف يعقوب حداد**